الوعي
جامعية - فكرية - ثقافية
السنة الرابعة والثلاثون
صفر١٤٤١ هـ - ت١ ٢٠١٩م
العدد
٣٩٧

كلمة الوعي

دور الأمة الإسلامية في الدنيا
لا يكون إلا بدولة
كالدولة التي أسسها رسول الله ﷺ

الخلافة

- آن لخلافة الإسلام أن تحسم الصراع الحضاري مع الغرب وتنهي مأساة البشرية ص٩
- العلماء بوصلة الأمة، بصلاحهم تصلح الأمة. ص١٧
- المبدأ الرأسمالي ونتنه على العالم ص٢٣

الوعي

جامعية - فكرية - ثقافية

مجلة الوعي تصدر غرة كل شهر قمري عن ثلة من الشباب الجامعي المسلم في لبنان
بترخيص رقم «١٦٦» صادر عن وزارة الإعلام اللبنانية بتاريخ ١٩٨٩/١١/١٥

www.al-waie.org Subjects@al-waie.org

العدد ٣٩٧

السنة الرابعة والثلاثون
صفر ١٤٤١ هـ
تشرين الأول ٢٠١٩م

المحتويات

- كلمة الوعي :

دور الأمة الإسلامية في الدنيا لا يكون إلا بدولة كالدولة التي أسسها رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة ٣

- آن لخلافة الإسلام أن تحسم الصراع الحضاري مع الغرب وتنهي مأساة البشرية(١) ٩
- العلماء بوصلة الأمة، بصلاحهم تصلح الأمة(١) ١٧
- المبدأ الرأسمالي ونتنه على العالم (١) ٢٣
- سياسة أميركا تجاه دول أميركا اللاتينية ٢٩
- أخبار المسلمين في العالم ٣٨
- مع القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ ٤٣
- رياض الجنة: حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن رسول الله ﷺ وقول الله عز وجل فيه ٤٧
- كلمة أخيرة: وزير الشؤون الدينية الجديد يدعو إلى عودة يهود السودان ... الدولة المدنية لا تستثني أحدًا ٥١

ثمن النسخة

لبنان	١٠٠٠ ل.ل.
اليمن	٣٠ ريال
تركيا	١$ أميركي
باكستان	١$ أميركي
أستراليا	٢,٥$
أميركا	٢,٥$
كندا	٢,٥$
ألمانيا	٢,٥ يورو
السويد	١٥ كرون
بلجيكا	١ يورو
بريطانيا	١ يورو
سويسرا	٢ فرنك
النمسا	١ يورو
الدانمرك	١٥ كرون

دور الأمة الإسلامية في الدنيا لا يكون إلا بدولة كالدولة التي أسسها رسول الله ﷺ

أبو مالك، ثائر سلامة

الحَمْدُ للهِ ذِيْ الْـمِنَّةِ وَالطَّوْلِ، وَالْقُوَّةِ وَالْحَوْلِ، ذِيْ الْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ، إِلَهِ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، مُعِزِّ الإِسْلامِ بِنَصْرِه، وَمُذِلِّ الشِّرْكِ بِقَهْرِهِ، وَمُصَرِّفِ الأُمُورِ بِأَمْرِهِ، وَمُدِيْمِ النِّعَمِ بِشُكْرِهِ، وَمُسْتَدْرِجِ الكَافِرِيْنَ بِمَكْرِهِ، القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ فَلا يُمَانَعُ، وَالظَّاهِرُ عَلَى خَلِيْقَتِهِ فَلا يُنَازَعُ، وَالآمِرُ بِمَا يَشَاءُ فَلا يُرَاجَعُ، وَالْحَاكِمُ بِمَا يُرِيْدُ فَلا يُدَافَعُ، الغَنِيُّ الْـمُفْتَقَرُ إِلَيْهِ، الْقَوِيُّ الْـمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ، الْـمُسْتَغْنِيْ عَنِ الشَّرِيْكِ وَالصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدْ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَنَزَّهَ عَنِ الأَنْدَادِ وَالأَضْدَادِ وَالأَكْفَاءِ وَالشُّرَكَاءِ، وَتَعَالَى عَنِ الأَمْثَالِ والْظُهَرَاءِ وَالنُّظَرَاءِ، هُوَ الأَوَّلُ بِلَا ابْتِدَاءْ، وَالآخِرُ بِلَا انْتِهَاءْ، لَا سَمِيَّ لَهُ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَلَا يُشْبِهُهُ أَحَدْ.

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى الْمَخْصُوْصِ بِالْـمَقَامِ الـمَحْمُوْدِ، فِي اليَوْمِ الـمَشْهُوْدِ، صَاحِبِ اللِّوَاءِ الـمَعْقُوْدِ، وَالْحَوْضِ الـمَوْرُوْدِ، سَيِّدِنَا وإِمَامِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّد في الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَفِي الْمَلأِ الأَعْلَى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، صَلاَةً تَكُونُ لَكَ رِضَاءً وَلِحَقِّهِ أَدَاءً، وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْمَقَامَ الَّذِي وَعَدْتَهُ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ، كَمَا يَلِيقُ بِعَظِيمِ شَرَفِهِ وَكَمَالِهِ وَرِضَاكَ عَنْهُ وَمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى لَهُ دَائِمًا أَبَدًا، أَفْضَلَ صَلاَةٍ وَأَكْمَلَهَا وَأَتَمَّهَا وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيْرًا.

وبعد، فقد تفكرت في الإطار الذي سأضع فيه كلمتي هذه، والتي سافرت لأجل إلقائها مسافة عشرة آلاف كيلومتر، وكلما غزلت غزلًا ظننت معه أنهُ حُلّةٌ فاخرةٌ قُدّت من أسلوبٍ على مقدار قامات المعاني المستوحاة من ذكرى الهجرة العطرة، أو تصلح بيانًا لدور الأمة الإسلامية في الدنيا، وهي تتشوف لاقتعاد القمة اللائقة بها، أو تبيانًا لحاجة البشرية الملحة اليوم للدولة الإسلامية بعد أن تغولت الدولة العلمانية الليبرالية الديمقراطية المدنية ونظامها الرأسمالي في حياتها، ومصَّت دمها وأفسدت في الأرض أيما إفساد، عدتُ ونقضتُ ذلك الغزلَ، وأعدت التفكير!

أعدت التفكير فقضية الأمة المصيرية ليست رغيفَ خبز تلهث وراءه، ولا استجداءَ مسكن وملبس ومأمن بعد أن سلبتها ذئاب البشرية مسكنها وملبسها ومأمنها، فظنَّ بعض أبنائها أن لا ملجأ لهم إلا تلك القوى الكبرى الاستعمارية نفسها، بشحمها ولحمها وأنيابها وبراثنها! وأياديها التي تمتد كأخطبوط يضعُ دساتيرَ ويمولُ كياناتٍ تضمنُ بقاء بلاد المسلمين نهبًا لتلك القوى نفسها، وأن يبقى سقف مطالب السياسيين في تلك البلدان هابطًا لا يرقى إلى أعلى من اللهاث خلف رغيف الخبز، أو دفء كرسي الحكم، أو وراءَ متاع قليل من حطام الدنيا، من مساعدات اقتصادية وبرامج تنموية هزيلة، أو حتى مجرد حلم بأن يحظى هؤلاء برضا المستعمر وحمايته، وهل برامج الأمم المتحدة للتنمية والتي أشرفت بشكل مباشر على إعداد وتمويل الدستور

التونسي ونظائره من دساتير في بلاد المسلمين إلا شكلٌ من أشكال التبعية الاستعمارية التي تنهب خيرات البلاد بيد، فلا يبقى لأهلها منها إلا فتات الفتات، وتحارب بيدها الأخرى أي شكل من أشكال التحرر من التبعية والهيمنة الغربية سواء الفكرية أم السياسية أم العسكرية، لتضمن بقاء الأمة الإسلامية لاهثة وراء الرغيف والمسكن، أو لاهثة وراء النجاة من قبضة الطغم الحاكمة الظالمة المستبدة التي تحظى بدعم الغرب الكافر، أو قبضة تلك الثلة المضبوعة بفكر الغرب ونمط عيشه، وحال أمتنا:

كالعيس في الصحراء يقتلها الظما، والماء فوق ظهورها محمول!

فهل للأمة الإسلامية دور في الدنيا؟

إننا إذا نظرنا من زاوية السنن المجتمعية، وقانون تدافع الأمم، والذي لخصه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث جامع مانع، في سنن أبي داود: عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ؛ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» [سنن أبي داود/ ٤٢٩٧، مسند أحمد/ ٢١٨٩٠، مسند أبي داود الطيالسي/ ١٠٨٥]

إن هذا الحديث يعلمنا أن الأمم في تصارعها على المصالح أو اقتعاد الدور إنما هي كالسيل، فمن كان أَصْلَ السيل ومادَّتَهِ كان إما رحمة للناس بما يحمله من هدى الإسلام، فجرى مجرى طيبًا، فأنبتَ الزرع ودرَّ الضرع، ورفع الظلم وأقر العدل، وإما أن يكون سيلًا جارفًا لا تحركه إلا الأطماع والشهوات، وتكون الأمم الضعيفة فيه كالغثاء والزبد والرغوة، لا أثر لها في مجرى السيل، فتسير معه على غير هدى، ويجرفها ويلقي بها على الأحجار الناتئة، والأشواك القاتلة، ويفرقها شذر مذر، ولا مهابة ولا شيء إلا الإبادة!

فهذا قانون التدافع وتلك السنن المجتمعية تفرض علينا أن يكون لنا مقعد الريادة، وأن نكون نحن السيل وأصله، لنحمل الرحمة المهداة للبشرية، ولنمنع أمتنا من أن تكون غثاء! فكيف للأمة الإسلامية أن تتقي عدوها إلا بدولة؟ ولقد حدد لنا ذلك صاحب الذكرى العطرة - ذكرى الهجرة - صلى الله عليه وآله وسلم بدقة، فيما روي عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّـةٌ يُقَاتَلُ من وَرَائِهِ ويُتَّقَى بِهِ».

قال النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم: قَوْلُهُ ﷺ: «الْإِمَامُ جُنَّةٌ» أَيْ: كَالسِّتْرِ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الْعَدُوَّ مِنْ أَذَى الْمُسْلِمِينَ، وَيَمْنَعُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَيَحْمِي بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ، وَيَتَّقِيهِ النَّاسُ وَيَخَافُونَ سَطْوَتَهُ، وَمَعْنَى «يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ» أَيْ: يُقَاتَلُ مَعَهُ الْكُفَّارُ وَالْبُغَاةُ وَالْخَوَارِجُ وَسَائِرُ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالظُّلْمِ مُطْلَقًا، وَالتَّاءُ فِي (يُتَّقَى) مُبْدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ لِأَنَّ أَصْلَهَا مِنَ الْوِقَايَةِ. **انتهى،** فالإمام، أو الخليفة إنما هو درعٌ واقيةٌ تحمي المسلمينَ، فلمّا سقطت الدرع انكشف ظهر هذه

الأمة لسهام أعدائها، ورعاعها وطواغيتها، ولأمم الأرض يستبيحونها ويتكالبون عليها كتكالب الأكلة على قصعتها! و»إنما» في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْإِمَامُ جُـنَّـةٌ»، عند الجمهور أنها للحصر قيل بالمنطوق، وقيل: بالمفهوم، فالإمامُ الخليفةُ حصرًا وتوكيدًا لأهمية دوره هو الدرع الواقية للأمة داخليًا! والدرع الواقية للأمة من سهام أعدائها هي حصرًا الإمام، أي الدولة الإسلامية!

ودور الأمة الإسلامية في الدنيا أيضًا هو القوامة على فكر البشرية وطريقتها في العيش، يقول رب العالمين وهو أصدق القائلين: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ ، لقد رتبت هذه الآية الكريمة بشكل عجيب قوام خيرية الأمة منطلقة من أمرها بالمعروف، ونهيها عن المنكر، وإيمانها بالله، وخير الأمم أفضلها وأعلاها شأنًا، أي أنها أكثر الأمم نهضة، إذ النهضة العلو، فنهض الرجل قام، ومكان ناهض أي مرتفع، وأمة ناهضة: مرتفعة خيّـرة، تسمو على الأمم الأخرى، ولكننا ندرك أن النهضة إنما تكون بأثر المفاهيم التي يحملها الإنسان، والتي يحملها المجتمع على السلوك والعلاقات التي يُبنى عليها، وبالتالي فقوام هذا السلوك الامتثال بالعُرَفِ (الأعراف) التي نتجت عن الإيمان بالله، والانتهاء عن المنكرات التي نهى الله عنها، أي تطبيق نظام الإسلام على الفرد والمجتمع والدولة، وبذا يلتزم المسلم، وتلتزم الأمة الاسلامية بالطريقة، فترشد وتقتعد مكانتها السامقة اللائقة بها، وتتحقق فيها الخيرية التي أكرمها الله تعالى بها، فهذه الآية الكريمة تتحدث عن نهضة الأمة كاملة، فنهضتها تنطلق من استقامتها على أمر ربها بجعل العُرَفِ التي عرفها الشرع مسيرة لأعمالها، وبأن تنآى بعدًا عن المنكرات التي أنكرها الشرع، لتستقيم بذا على الطريقة فترشد وتقتعد خير مكانة بين الأمم.

لقد ربط الحق سبحانه في الآية الكريمة بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين الإيمان بالله، فقدم عند الحديث عن الخيريةِ الأمرَ بالمعروفِ؛ لأن الخيرية والنهضة متعلقة بالسلوك أي بالأعمال، وهي من نتائج الايمان، وهي مبنية على الإيمان، وبالتالي فدقة الآية تفضي إلى أن نفهم منها أن الخيرية إنما تكون بجعل الأفكار العقدية هي المسيرة للسلوك، وبجعل العقيدة قيادة فكرية للأمة ومقياسًا لأفعالها.

ويؤكد هذا الفهم ويؤيده قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ، فدور الأمة أن تكون شهيدة على الأمم، بإقامتها الحجة عليهم بإحسان فهم وتطبيق الإسلام في نفسها، وبحمله إلى الأمم وحمل الأمم على الخضوع لنظام الإسلام، لا الخضوع لعقيدته قصرًا، وإنما قصر الأمم وحملها على الخضوع لنظام الإسلام، فهذا هو معنى قوامتها على فكر الأمم! والوسطية بمعناها الشرعي الصحيح هي العدالة، والخيرية، أي أن الأمة الإسلامية أمة الوسَط أي العدالة، أي الخيرية، لا الوسْط بمعنى البينية بين الشيئين ولا الظرفية؛ لأن الوسَطَ غير الوسْط بسكون السين، ولأن الرسول عليه السلام في الحديث الصحيح فسر الوسطية في الآية **بالعدالة، أخرج الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي**

أبي القاسم صلى الله عليه وسلم في قوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ قال: «عدلًا». قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح. فيكون معنى «وسَطًا» عدلًا، أي أخيارًا. قال الزجاج: وسَطًا عدلًا، وقال بعضهم أخيارًا، واللفظان مختلفان والمعنى واحد، لأن العدل خير والخير عدل، وقال البغوي: وسَطًا أي عدلًا خيارًا. وقال القرطبي: وليس من الوسْط الذي بين شيئين في شيء. والوسطية أو الخيرية أو العدالة لا تكون تشريفًا إلا بالقيام بمقتضياتها، الشهادة على الأمم، بإحسان التطبيق وبحمل الدعوة، وبحمل الناس على الخضوع لنظام الإسلام، فكل الأمم أمرت في كتبها على ألسنة أنبيائها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن الله اختص هذه الأمة بالخيرية بقوامتها على فكر البشرية وبدورها في تلك القوامة، وحينئذ تستحق مقام الخيرية!

لقد عانت الأمة الإسلامية من طامتين كبيرتين: أولاهما الانحطاط، وثانيتهما الهبوط عن المكانة اللائقة بها. ولا ترتقي وتنهض إلا باستباق الخيرات في أمور ثلاثة: فهم المبدأ الإسلامي فهمًا دقيقًا، وتطبيقه، وحمله لغيرها من الأمم، وكلما ازدادت فهمًا، وأحسنت التطبيق وتفانت في حمل المبدأ؛ سمت وارتقت في علياء خيريتها التي ارتضاها لها رب العزة سبحانه، فأما فهم المبدأ، فقوامه إعادة **الصفاء** لما نعتنقه من فكر إسلامي (أي ربط كل فكر أو حكم أو رأي بالدليل عليه من الكتاب والسنة، أي ربطه بما جاء به الوحي)، وإعادة **النقاء** (أي إبعاد كل فكر أو حكم أو رأي ليس من الفكرة الإسلامية ، أي ليس مما له دليل شرعي، عن الفكرة الإسلامية، فتزيل من الفكرة الإسلامية من قواعدها، وعقائدها، وأصولها، وأحكامها وآرائها ما علق بها من الشوائب وما أُلحق بها من أفكار في العصر الهابط أو جراء الغزو الفكري والتبشيري، أو جراء قيام المدارس التوفيقية والعقلانية التي تلوي أعناق النصوص وتفسر الإسلام تفسيرًا يتناسب مع الواقع بدلًا من تغيير الواقع بأفكار الإسلام)، وإعادة **البلورة** لمفاهيمها، (أي حسن تصور الفكرة الإسلامية في الأذهان، فيكون الفكر ناتجًا عن إحساس، وأن يتبلور هذا الفكر بحيث يرسم المخطط الهندسي للفكرة والطريقة في الذهن، فيدرك الإنسان المبدأ إدراكًا صحيحًا يؤدي إلى العمل، فيحدث الفكر فيه انقلابًا كاملًا، فيسير الفكر حينئذ متجسدًا في تهيئة الأشخاص والمجتمعات، ويُسَيِّر الأجواء بهذا الفكر فيحدث الانقلاب المطلوب في الرأي العام)

وأما تطبيق المبدأ الإسلامي، عقيدة ونظام حياة، فقسم منه يقوم به المسلمون أفرادًا في حياتهم، كالعقائد، والعبادات، والأخلاق، والمأكولات والملبوسات، والامتناع عن الحرام، وتغيير المنكر، والعمل في الأحزاب السياسية للتغيير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأحكام واجبة (مع مراعاة العينية والكفائية في الوجوب) في ظل وجود الخلافة أو في عدم وجودها، وإن كان وجود الخلافة ييسر أمر تطبيقها، فضلًا عن ارتباطها بالخلافة من ناحية الإلزام بما كان واجبًا منها.

وقسمٌ أعظم من الإسلام لا يتم إلا بدولة إسلامية تضع أحكام الإسلام موضع التطبيق، بأن تكون ولاية السلطان والتحكم والسيطرة والقضاء في الدولة للخليفة ولجهاز الدولة، ويتمثل برعاية المصالح وفقًا لأحكام الإسلام، في السياسة الداخلية (تنفيذ أحكام الإسلام في الداخل، من تنظيم المعاملات، وإقامة الحدود، وتنفيذ العقوبات، وحراسة الأخلاق، وضمان القيام بالشعائر والعبادات، ورعاية شؤون الأمة ورعايا الدولة، سواء في علاقاتهم بالدولة وعلاقة الدولة بهم، من محاسبة، ومجلس أمة، ومظالم، ودوائر مصالح الناس، وتعيين ولاة وموظفين ومعاونين ومحتسبين، أم بعلاقاتهم بعضهم مع بعض من نصح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وحفاظ على العقيدة، وحفظ الدين بنشر العلم، ومحاربة الجهل والبدع، وسياسة إعلامية، وفض خصومات، وتمكين الرعايا مسلمين وذميين من كافة الحقوق ومن الانتفاع بالثروات، ومن مرافق الدولة العامة، وضمان حاجاتهم الأساسية، ومن إقامة المجتمع على أسس من التعاون والإخاء والتكافل والإيثار، ومن إقامة الأمن، وإقامة الأسواق والمساجد والمستشفيات ومراكز الأبحاث والمرافق، والسدود، وما إلى ذلك، وإظهار طريقة العيش الإسلامية بأرقى صورها لتكون مثالًا ناصعًا تسوده الفضيلة، وقيمةً عليا وأداةً أساسيةً لحمل الدعوة الإسلامية للغير، ورعاية الدولة لهذه الحقوق والشؤون تأخذ ناحية تشريعية قانونية إلزامية لا روحية)، وفي السياسة الخارجية (العلاقات الدولية أي علاقات الجماعات والأمم والدول بعضها مع بعض، في أحكام المعاهدات والجهاد والتشريع الحربي والرسل والسفارات، ومن إقامة جهاز يقوم على صنع وتنفيذ السياسات والقرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية، سواء الجهاز الحكومي أم الجهاز غير الحكومي المتمثل بالأحزاب السياسية والوسط السياسي، ومن معاهدات، وحمل دعوة لنشر الإسلام، وجهاد، وحربية، وما يتبع ذلك من إنشاء الصناعات الثقيلة وبناء المصانع واستخراج الثروات الطبيعية، والعلاقات الدولية مع الدول والأطراف الدولية الأخرى لتنفيذ أهداف الدولة الإسلامية على الساحة الدولية ونشر الإسلام واتخاذ القرارات التي تسير علاقات الدولة دوليًا، والسهر على شؤون الدولة من خلال مواكبة الأحداث والتفاعلات التي يشهدها النظام العالمي على المستويات السياسية، والاستراتيجية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية ودراسة أثر ذلك على الأمة، واتخاذ الإجراءات اللازمة لرعاية مصالح الأمة، ووضع الخطط اللازمة لحمل الدعوة ونشر الإسلام ورعاية مصالح الرعايا خارج الدولة) وفي أنظمة الاقتصاد والاجتماع والتعليم وغيرها مما لا يقوم إلا بدولة!

وأما حمل المبدأ، فكل أمة من الأمم التي أرسل الله إليها رسلًا أمرها بأن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر وأن تؤمن بالله، ولكنه تعالى ميَّز هذه الأمة وجعلها خير أمة أخرجت للناس بأن أمرها بحمل المبدأ الإسلامي للبشرية قاطبة لتحكمها على أساسه فتجنبُ البشريةَ الاحتكامَ إلى الطاغوتِ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾.

إذن فخيرية الأمة إنما تكون بأن تفهم وتطبق وتحمل المبدأ الاسلامي للبشرية قاطبة، وأن تسير علاقاتها وسلوك أفرادها بناء على النظام المنبثق عن هذا المبدأ. ودور الدولة الإسلامية في هذا كله محوري وأساسي، ولا يمكن أن تقتعد الأمة مكانتها التي ارتضاها الله تعالى لها إلا بدولة!

بهذا فقط تقتعد المكانة اللائقة بها: خير أمة أخرجت للناس، وبغير ذلك تهبط عن المكانة اللائقة بها لتصبح نهبًا لكل طامع تتداعى عليها الأمم كتداعي الأكلة إلى قصعتها، ينهبون خيراتها ويشوهون حضارتها بدس كل سم فيها لتخرج من النور إلى الظلمات بدلًا من أن تخرج هي البشرية من الظلمات إلى النور!

إن الاستذكار الحقيقي لمعاني الهجرة السامقة، والتي نقف أمامها بكل خشوع، إنما يكون باستذكار الدور الحقيقي للأمة الإسلامية ودورها القيادي في العالم، واستذكار رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شكل من أشكال الالتقاء مع الباطل في أول الطريق أو منتصفه أو آخره، ورفضه للحلول الوسط، حتى في أحلك حالات الضعف والحاجة، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن ليس بين الحق والباطل إلا الباطل، ولا ينزل الحق قدر إصبع نحو الباطل إلا خرج عن صفته، ويكون الاستذكار الحقيقي لمعاني الهجرة النبوية المشرفة باتخاذ قضية الإسلام وسيادته وقيادته والعيش له وبه قضية مصيرية يتحمل مسئوليتها كل فرد من أفراد الأمة، كما عاش لها وبها سيد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه، وصحابته النجب الكرام، ويكون الاستذكار الحقيقي لمعاني الهجرة النبوية المشرفة بضرب القيم المنحطة الهابطة التي تروج لها الطغم السياسية اللاهثة خلف برامج الأمم المتحدة والدول الاستعمارية الناهبة الطامعة الخبيثة! إننا ننتمي لخير أمة أخرجت للناس، لا نستجدي حقنا ولا مكانتنا ولا ننالهما اختلاسًا؛ خير أمة لا ترضى أن تكون في ذيل الأمم، مهيضة الجناح، مستباحة البيضة، وهي تحمل للبشرية خير رسالة تؤهلها للوقوف بكل قوة في وجه هيمنة الحضارة الغربية، وتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، تحكمهم بدولة إسلامية كتلك التي عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ثلاث عشرة سنة في مكة لأجل إقامتها، ملاقين في سبيل إقامتها الويلات والعذاب الشديد، وقد صُلوا بمكروه هذا الأمر، عذابًا لا تطيق مثله الجبال الراسيات، حتى حفرت في الظهور منهم الأخاديد، جراء صَلْيـها بالحديد المُـحمَّى بالنار، ومن جلدها بالأسواط بلا رحمة، واحترقت من طول التعذيب فوق رملٍ شديد الالتهاب في صُيوفٍ شديدة الحرِّ، واستشهد من استشهد، وهاجر من هاجر مغتربًا عن أرضه وأهله، مُخَلِّفًا وراءه بيته وماله نهبًا لأعدائه، وقد اكتحلوا السهر يصِلون الليل بالنهار، بأعمال منقطعة النظير بُغية إقامة تلك الدولة، حتى أذن الله بإقامتها، وأمضى وعده للمستضعفين بالاستخلاف والتمكين والأمن، **دور الأمة الإسلامية في الدنيا لا يكون إلا بدولة كالدولة التي أسسها رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة!**

والحمد لله رب العالمين ■

آن لخلافة الإسلام أن تحسم الصراع الحضاري مع الغرب وتنهي مأساة البشرية(١)

مناجي محمد - المغرب

إنه لحقيق أن يكون الأوان قد آن لأمة جعلها الله أمة وسطًا بين الأمم، وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وأوجب عليها حمل الدعوة الإسلامية للعالم، أن يقتعد إسلامها العظيم مكانة الصدارة والقيادة، ويتدارك البشرية بالخلاص قبل أن تدفنها حضارة الغرب البائسة في قبرها السحيق الذي حفرته لها وتوردها الجحيم؛ وعليه فإيقاظ الفكر وإثارة القضايا الكبرى هو صلب الصراع الفكري والكفاح السياسي بسلاح الفكر المستنير لإعلاء كلمة الله في أرضه بشدخ نافوخ الكفر وتحطيم رأس الطاغوت وسحق ضلال وإلحاد وعدمية وعبثية حضارة الغرب البائسة القاتلة.

ويصبح الأمر من أوجب الواجبات في زمنٍ عزَّ فيه الفكر في حياة الناس حتى باتت سمات الواقع الذي يراد لنا ومنا أن نحياه في زمن الرويبضات زمن الملك الجبري وأقفاص سايكس بيكو واتفاقيات إيكس ليبان واتفاقيات إيفيان المسماة دولًا وطنية... هو الضحالة والتفاهة والتيه الفكري والاشتغال بسفاسف الأمور، حتى اختزل الفكر والثقافة في فن الطبخ ومهرجانات الموسيقى والرقص واللهو المخدر المقنن تحت مسمى الرياضة، أما القضايا الكبرى فبحثها وتناولها وإعمال العقل فيها يعتبر نشازًا إن لم يكن محظورًا.

إن الفكر هو سر حياة الأمم، فلولا الفكر لما تشكلت أجنة البشرية الأولى، فالتحولات المفصلية الكبرى في تاريخ البشرية أساسها هو الفكر. فالفكر هو طين الخلق للأمم والحضارات. فالنصرانية فكر، وهي التي تشكلت منها أوروبا النصرانية. واليهودية فكر، وهي التي شكلت اليهود. والبوذية والهندوسية والتاوية فكر، وهي التي شكلت شعوبًا من آسيا وشبه القارة الهندية والصين. والرأسمالية فكر، وهي التي شكلت الغرب. والشيوعية فكر، وهي التي شكلت شعوب الاتحاد السوفياتي ودول شرق أوروبا حينها، والإسلام فكر وهو الذي تخلقت منه الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية. فالفكر هو سر حياة الأمم والحضارات ومرتكز النهضة وأساس بناء الدول والمجتمعات ودونه خرط القتاد. وعليه سنتناول إحدى قضايا الفكر الأكثر خطورة والأبلغ وقعًا وأثرًا في تاريخ وحياة الأمم والشعوب، وهي الحضارات وطبيعة الصراع القائم بينها.

تحرير المصطلحات: الحضارة والصراع

إلا أنه في حقل الفكر، لا بد من تحديد دلالة الاصطلاحات حتى يتبلور الفهم ويدرك الواقع الذي عبر عنه الاصطلاح. ولا بد من ملحوظة تنبيه أن المصطلحات الرائجة اليوم في الحقل الفكري ملغومة بألغام السياسة من تمييع وإبهام وتعميم وتضليل تجعل معها الفهم متعسرًا، فإذا أضفنا أن مواضيع الفكر المشتغلة بقضايا الإنسان متأثرة بوجهة نظر

الواضع فهي متحيزة بطبعها لكونها من الثقافة؛ لذا فالوقوف على الدلالات صحة وبطلانًا من حيث جذرها الفكري وانطباقها على الواقع الذي دلت عليه ذاك شرط في بحث الصحة والبطلان. فتلك إذًا أولى أبجديات الفكر في تحديد الدلالات والمصطلحات.

فالمصطلحات التي تعنينا اليوم في طرحنا هي مفهوم الحضارة والصراع. أما عن الحضارة ،فإذا اكتفينا بما تلقيه كلمة الحضارة في الأذهان من تقدم المجتمع البشري نكون قد جانبنا الصواب لأن الأمر يفتقد الدقة، والعمل الفكري هو كالمبضع في يد الجراح، خطؤه قاتل.

كما أن الدلالة اللغوية لا تفي بالغرض، فالحضارة لغة تنطق بكسر الحاء وفتحها ،وهي مشتقة من الحضر وهم سكان المراكز العمرانية، فهي تعني الإقامة في الحضر، وهي ضد البداوة، كما عرفها ابن منظور في معجمه لسان العرب. وعليه لا بد من الوقوف على دلالة الحضارة اصطلاحًا.

ظهرت الحضارة كاصطلاح في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وأول من استعمل المصطلح بمفهومه الفكري «فيكتور ركيتي» سنة ١٧٥٦م، في كتابه «عقد الشعب» جاء فيه: «إن الدين بلا منازع هو الربيع الأول للحضارة». ثم بدأ المفهوم الاصطلاحي يأخذ منحى تركيبيًا أوسع بين مفكري الغرب، حتى باتت التيارات الفكرية الغربية تدور في فلكين من حيث التعريف، وبات التقسيم المعرفي كالتالي:

الفريق الأول: المدرسة الفكرية الألمانية ترى أن الحضارة هي المظاهر الفكرية الناجمة عن الثقافة كالعادات والتقاليد والعقائد والقيم والنظم... فالحضارة لها صلة وطيدة بوجهة النظر بالحياة. أصحاب هذا الرأي من أمثال «راتناو - توماس مان - وكيسرلنج...»لا ينظرون للعلوم والصناعات كجزء من الحضارة. فالحضارة تتمثل في الآداب والفنون والديانات والأخلاقيات... لذا من أقوالهم: «إن الحضارة هي التعبير عن الروح العميقة للمجتمع»... «الحضارة تعني ما نحن وليس ما نستعمل».

أما الفريق الثاني: المدرسة الإنجليزية، فلم تفرق بين الحضارة والمدنية، واعتبرت الحضارة بأنها الإنتاج الفكري والمادي للمجتمع. فالحضارة عندهم تشمل الآداب والفنون والعلوم والعمران... يقول أصحاب هذا الرأي على لسان ألبيرت سفيستر: «إن الحضارة هي التقدم الروحي والمادي للأفراد والجماهير».

إلا أن القاسم المشترك عند المفكرين الغربيين أن الحضارة إنما هي الثقافة مكبرة، أي أن الحضارة خاصة،فكونها ثقافة مكبرة كناية عن الخصوصية، كون الثقافة هي المعارف المستنبطة متأثرة بوجهة النظر في الحياة والتابعة لها.

فالحضارة تشمل القيم والمعايير وطرائق التفكير وطرائق العيش السائدة في أمة من الناس.

إذًا، فالحضارة بمفهومها الشامل هي كل ما يميز أمة عن أمة من حيث العادات والتقاليد وأساليب وطرائق العيش والدين والقيم

والأخلاق والآداب والفنون؛ لذا فالحضارة هي مجموع المفاهيم عن الحياة التي تطبع حياة أمة فيتشكل بها نمط عيشهم وقيمهم وقناعاتهم وعقائدهم وعاداتهم وأنظمتهم، فبطبيعة واقعها هي خاصة؛ لذا نقول: الحضارة اليونانية، والحضارة المصرية، القديمة وحضارة بابل، والحضارة الفارسية، والحضارة الإسلامية، والحضارة الغربية.

فالحضارة نمط عيش وطراز معين في الحياة ومفاهيم تسوغ المقاييس والقناعات والأحكام، وتتشكل بحسبها الأعراف والعادات وتتحكم بأنظمة الحياة وتشريعاتها، فهي خاصة إلى أبعد الحدود وأقصى المسافات. فالحضارات تتمايز وتختلف، ومن ثم تتنافس وتتصارع.

فالحقيقة، إن العلاقة بين الحضارات علاقة تنافسية تقوم على الصراع، ويحتد التنافس ويشتد الصراع كلما كانت الحضارة لها صفة العالمية حيث يصبح مجال الصراع العالم كله. وصفة العالمية متعلقة بطبيعة مفاهيمها عن الحياة، كونها للإنسان بوصفه إنسانًا وليست وليدة بيئة خاصة أو ظرف تاريخي معين.

فقيادة العالم وتشكيله حضاريًا هدف كل حضارة لها صفة العالمية أو تدعيها، فالصراع هو جوهر العلاقة بين الحضارات، فاختلاف العقائد والمقاييس وجملة التصورات عن الحياة هو مادة الصراع، فالقول بالتعايش سذاجة لأن التعايش لا يكون إلا ضمن منظومة فكرية واحدة، أي ضمن الحضارة الواحدة. فالتعايش يعني ضمنًا الانضواء تحت حضارة واحدة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بطمس وإلغاء الحضارة المنافسة.

يقول أحد سياسيي الإدارة الأميركية في ولاية كلينتون الأولى ديفيد روثكوبف في مقال نشرته مجلة «فورين بوليسي» لصيف ١٩٩٧م: «إن سقوط الثقافات الأخرى هو عنصر قوة لحضارتنا، فهناك عناصر ثقافية هدامة وعائقة لتفوقنا يجب طمسها، منها الدين واللغة والعقائد السياسية والأيديولوجية للحضارات الأخرى، وهناك عناصر يجب دعمها كفن الطبخ والطقوس والموسيقى». ويقول المستشرق الأميركي برنارد لويس: «فعندما تصطدم حضارتان تسيطر إحداهما على الأخرى، قد ينبري المثاليون والمفكرون فيتحدثون بطلاقة وسهولة عن تزاوج بين أحسن العناصر من الحضارتين، إلا أن النتيجة العادية في هذا التلاقي هي تعايش بين أسوأ العناصر من الاثنين».

إن التنافس والصراع بطبيعته صراع أفكار؛ لأن الحضارة في حقيقتها الأولى منظومة فكرية تسوغ مفاهيم الحياة التي تطبع أمة بطابعها. وهذا الصراع الفكري هو أرقى تجليات العقل الإنساني؛ لأنه بحث عن الحقائق بدءًا بتفسير الوجود نشأةً وغايةً ومصيرًا، وانتهاءً بأنظمة الحياة التي تعتبر الحلول العملية للمشاكل الطارئة في حياة الناس ويتم ترجمتها نُظمًا من نظام حكم واقتصاد واجتماع وتعليم وقضاء وعلاقات دولية؛ لذا فالخونة الحقيقيون في يوم

الناس هذا هم الذين يسعون إلى طمس هذا الصراع بين الحضارات؛ لأن ذلك يعني شل حركة الفكر وإعمال العقل بحثًا وتمحيصًا وتدقيقًا في الجذور الفكرية للحضارات، ومن ثم نقض الباطل منها والاهتداء إلى أحقها بقيادة البشر، ومن ثم تبنيه والعمل به والسعي لنشره. بل هؤلاء يسعون حقيقة إلى تنميط البشر حسب نمط وطريقة الحضارة الغربية.

والحقُّ ما قاله ربنا جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾.

فموضوع الحضارات ومادتها وصراعها ليس ترفًا فكريًا ولا بحثًا أكاديميًا ولا دردشة مثقفين، فموضوعها ومادتها وصراعها هي المفاهيم المتعلقة بحياتنا كبشر، بدءًا بتفسير الوجود نشأةً وغايةً ومصيرًا، تلك هي العقائد، وهي أعلى أنواع المفاهيم، وهي الأسس الفكرية، ثم مقاييس الخير والشر والقبح والحُسن المتحكمة في قيمنا وأخلاقنا وأنظمتنا، فنحن في صلب وجوهر حياتنا كبشر، تلك هي الحضارة. فهي مهتمة بحياتنا وتتدخل في أدق تفصيلاتها، وإن لم نهتم نحن بها.

والذي يعنينا اليوم هما حضارتان متصارعتان إحداهما عالمية بطبيعة رسالتها العالمية وتحديدًا الحضارة الإسلامية. يقول المولى جلَّ وعلا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾.

والثانية حضارة تسعى لعولمة مفاهيمها عن الحياة، وهي الحضارة الغربية أو الحضارة الرأسمالية نسبة للمبدأ الرأسمالي الذي تخلقت منه، وقولنا عولمة أي سعيها لتصيير الخاص عامًا والمحلي عالميًا (Globalisation) وذاك حالها. فهي حضارة وليدة بيئة وظروف تاريخية أفرزتها إشكالات الإنسان الأوروبي تحديدًا مع كنيسته ورجال دينه وقياصرته وملوكه، ذاك ما ترجمه جذرها الفكري الأول تحت تعبير «فصل الكنيسة عن السلطة»، والتعريف الشائع غربيًا «فصل المؤسسات الدينية (الكنيسة) عن المؤسسات السياسية (الدولة)»، وتطور المفهوم ليصبح فصل الدين عن الدولة والحياة. فمثلًا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أي تلك الديباجة المكوَّنة ابتداء من ٣٠ مادة، تم اعتماده من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨م، وقبل هذه السنة حتى دول المرجع لم تكن تعتبره قانونًا عامًا دوليًا، وبعد أن بات أداةً من أدوات السياسة الخارجية الغربية في بسط النفوذ والهيمنة تمت عولمته. فهاتان الحضارتان هما مادة الصراع. ولا بد من الوقوف على حقيقتهما حتى يتسنى معرفة حقيقة كلتا الحضارتين وطبيعة الصراع القائم اليوم بين الإسلام وأهله والغرب ورأسماليته.

فالحضارة الغربية الرأسمالية أساسها العقائدي وجذرها الفكري الذي انبثقت عنه

مفاهيمها عن الحياة هو فصل الدين عن الحياة، وإنكار أن للدين أثرًا في الحياة. فنتج عن ذلك فكرة فصل الدين عن الدولة لأنها طبيعية عند من يفصل الدين عن الحياة وينكر وجوده فيها. وعلى هذا الأساس قامت الحياة الغربية وقام نظام الحياة عندهم. فدلالة فصل الدين عن الحياة (ما اصطلح عليه عربيًا بالعلمانية) في الخطاب السياسي والاجتماعي والفلسفي الغربي، ترجمها أول تعريف فكري لصاحبه (جون هوليوك): «الإيمان بإمكانية إصلاح حال الإنسان من خلال الطرق المادية، دون التصدي لقضية الدين، سواء بالقبول أم بالرفض». وفصل الدين عن الحياة هي رؤية أساسية شاملة يتفرع عنها منظومات معرفية وقيمية، فهي عقيدة الفكر الغربي وأساس حضارته. يورد قاموس (أكسفورد) في تعريفه لفصل الدين عن الحياة: «العقيدة التي تذهب إلى أن الأخلاق لا بد من أن تكون لصالح البشر في هذه الحياة (الدنيا)، واستبعاد كل الاعتبارات الأخرى المستمدة من الإيمان بالإله أو الحياة الأخرى (الآخرة)». وكما يعرفها المعجم الاجتماعي باعتبارها منظومة متكاملة تحتوي على ميتافيزيقا واضحة ورؤية شاملة للكون، وأن العلمنة تترجم اجتماعيًا عبر مظاهر الحياة التالية:

١- انحسار الدين وتراجعه (العقائد، الطقوس، الرموز، المؤسسات الدينية تفقد مكانتها ونفوذها...).

٢- الفصل بين المجتمع والدين.

٣- التركيز على الحياة المادية في الوقت الراهن بدلًا من التطلع إلى مستقبل روحي.

٤- اضطلاع منظمات غير دينية بالوظائف الدينية.

٥- اختفاء فكرة المقدس (التفسير المادي للإنسان والطبيعة).

٦- إحلال المجتمع العلماني المادي محل المجتمع المتصل بالمقدس (أي النظر إلى جميع الظواهر من منظور مادي بحت).

الخلاصة، إن فلسفة فصل الدين عن الحياة هي فلسفة مادية بحتة.

أما المقياس الذي على أساسه توضع الرؤى والقيم والتصورات فهو النفع المادي المحض، وينظر للحياة من منظور مادي نفعي بحت مجرد من أي قيمة روحية تصلك بالإله أو خلقية أو إنسانية. وبناء على النظرة المادية، فأي قيم معرفية خارج إطار المادة لا معنى لها، وإن القانون الأسمى نابع من قوانين المادة أي قوانين فيزياء الأجسام المادية وكمياء العناصر المادية التي بها يفسر السلوك الإنساني والاجتماعي؛ فتصبح المحصلة المادية للحياة الإنسانية ما هي إلا معادلات وأرقام وبيانات، وأن المنفعة المادية من ربح وخسارة ولذة (إشباع شهوات واستهلاك) هو السبيل للبقاء المادي والطريق للسعادة، وعليه فالتفسير المادي للسعادة هو إعطاء الإنسان أكبر قسط من المتع الجسدية وتوفير أسبابها له (إنتاج واستهلاك للذة). وهكذا انتهت الحضارة الغربية في التحليل الأخير إلى حضارة

مادية نفعية محضة خالية ومجردة من كل قيم روحية أو خلقية أو إنسانية.

أما الحضارة الإسلامية فإنها تقوم على أساس هو النقيض من أساس الحضارة الغربية الرأسمالية، ونظرتها للحياة نقيض نظرة الحضارة الغربية، ومفهومها للسعادة غير مفهومها في الحضارة الغربية، فبذرتها وجذرها الفكري روحي موصول بالله سبحانه وتعالى.

فالحضارة الإسلامية تقوم على أساس الإيمان، أي التصديق الجازم المقطوع بصحته حجة وبرهانًا أن الوجود من «كون وإنسان وحياة» مخلوق لخالق خلقه من عدم، ودبر شؤون خلقه بنظام بديع يسير الخلق بموجبه. قال تعالى:﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾، ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ٣٦ ﴾. وختم بلاغه وهديه وإرشاده لخلقه بإرسال خاتم النبيين محمد ﷺ بشرعه وهديه لخلقه: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣﴾

وعليه كانت عقيدة الإسلام هي الأساس في البناء الحضاري الإسلامي، فهي القاعدة الفكرية التي تنبثق عنها الأحكام الشرعية والقيادة الفكرية التي تحدد وجهة النظر في الحياة ونمط العيش والزاوية الخاصة للحكم على الأفكار والوقائع والأحداث، أي أن الحضارة الإسلامية تقوم على أساس العقيدة الإسلامية، فهي جذرها الفكري وقاعدتها الفكرية الأساسية التي تنبثق عنها كل المفاهيم عن الحياة، فهي قائمة على أساس الصلة بالله، فهي لا تنفك عن هذا الإيمان، فالصلة بالله روحها، فلا وجود للحضارة الإسلامية إلا بوجود هذه الصلة بالله، فذاك جذرها وأساسها الفكري.

فتصوير الحياة ومقياس الأعمال في الحضارة الإسلامية منبثق عن العقيدة الإسلامية، فهو يوجب على المسلم تسيير أعماله بأوامر الله ونواهيه، فإدراك الصلة بالله حين القيام بالعمل من كونه حلالًا أو حرامًا تلك هي فلسفة الحياة ونمط العيش ومقياس الأعمال، أي أن الحلال والحرام هو مقياس الأعمال وليس النفعية مطلقًا. قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥ ﴾.

فالصلة بالله لا تنفك عن أعمال المسلم. فلا مجال للفصل البتة، أي لفصل الإسلام عن حياة المسلم، فذاك موجب لسخط الله ومحادَّة لله ورسوله ﷺ؛ لأن الغاية من ربط الصلة بالله حين تسيير الأعمال بناء على الحلال والحرام، أي الالتزام بأوامر الله ونواهيه، هو مرضاة الله وليس النفعية مطلقًا، وبناء عليه كانت السعادة في الحضارة الإسلامية هي نيل رضوان الله واستحقاق نعيمه المقيم جنة عرضها السماوات والأرض، فذاك مبتغى كل مسلم، وذاك منتهى الأماني، والسعادة في الإسلام نابعة من الإيمان، فأساسها يقين، وهي موجبة قطعًا للطمأنينة الدائمة. قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾، ﴿أَلَا

بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾. والخلاصة، إن الحضارة الإسلامية قائمة على أساس روحي نقيض تام للأساس المادي في الحضارة الغربية. فالصراع حتمي، وذاك ما يدركه الغرب ويعمل بناءً عليه.

حتمية الصراع الحضاري

إن حتمية الصراع تمليها حيوية وديناميكية أي حضارة ذات طابع عالمي، وكيانها الذاتي الذي يعبر عن مفاهيمها الخاصة للحياة البشرية. فالإسلام العظيم يقرر هذه الحقائق، فمن أعلى واجباته تغيير وجه العالم حضاريًا بإخراج الناس من ضلال عبادة المخلوقات إلى هداية عبادة رب المخلوقات، ومن جور الأديان والمبادئ الوضعية إلى عدل الإسلام ورحمته، وأن الصراع سنة الله في خلقه لإعلاء الحق وإزهاق الباطل لتكون كلمة الله هي العليا. قال جلَّ وعلا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾. وقال جل وعلا: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾. وقال جل وعلا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. وقال جل وعلا: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾. قال ابن عباس رضي الله عنه جاهدهم به يعني بالقرآن.

فالصراع حتمي وذاك ما يدركه الغرب ويعمل بناء عليه. أشار المؤرخ الفرنسي Fernand Braudel في كتاب «المتوسط والعالم المتوسطي» إلى الحضارات وصراعها، ففي فصل بعنوان لافت «الحضارات فردوس البشر وجحيمهم» يقول «**يحتوي المتوسط على ثلاث حضارات هائلة، وثلاث مجموعات ثقافية، وثلاثة أنماط أساسية في الاعتقاد والتفكير والعيش والأخلاق... متجسدة في ثلاث شخصيات لا نهاية لأقدارها، وكانت دائمًا قائمة منذ قرون وقرون، متجاوزة حدودها وحدود الدول التي لا تشكل إلا لباسًا لها... الحضارة الأولى هي الحضارة الغربية - وعلى الأصح اللاتينية أو الرومانية... الحضارة الثانية هي الحضارة الإسلامية. والغرب والإسلام يجمعهما تعارض عميق يقوم على التنافس والعداء والاقتباس، إنهما عدوان متكاملان.....**»

وفي عام ١٩٤٧م، ألقى المؤرخ البريطاني آرنولد توينبي محاضرة بعنوان «الصراع بين الحضارات» تم تضمينها في كتاب «الحضارة في الميزان» وقد بنى عليها فيما بعد صامويل هانتنغتون الأستاذ في جامعة هارفارد ومستشار الرئيس الأميركي كارتر مقالته الشهيرة في مجلة «فورين أفيرز» نشر المقال سنة ١٩٩٣م، وأعيد صياغته في كتابه الذي صدر بعد ٣ سنوات ١٩٩٦م، تحت عنوان «صدام الحضارات» The Clash of Civilisations. أما توينبي فيرى أن **الحادثة الكبرى والأهم في القرن العشرين والتي سيقف عندها المؤرخون كثيرًا في القرون المقبلة هي اصطدام الحضارة الغربية بسائر المجتمعات الأخرى القائمة في العالم،**

وأن الخطوة الأولى نحو توحيد العالم حسب النمط الحضاري الغربي لن تقف في وجهه الفنون ولا الصناعة ولا الاقتصاد ولا السياسة. ولكن العقبة الكأداء هي الدين. وينظر إلى الدين على أنه المعتقد الرئيسي والمرجع الأساسي في قيام الحضارات.

وكذلك يرى خلفه صامويل هانتيغتون؛ إذ يرى أن الفروق بين الحضارات هي فروق أساسية تتلخص في التاريخ واللغة والثقافة، والأهم هو الدين، فالدين مركزي في العالم الحديث وربما كان هو القوة المركزية التي تحرك الناس وتحشدهم، وهذه الفروق الثقافية ليست قابلة للتبديل أو الحلول الوسط... وبناءً على ذلك سيحدث صدام بين الحضارات. فالصراع القائم اليوم أملته وفرضته على الغرب حيوية الإسلام العظيم، فبذرة عقيدته الجبارة تأبى الموت، ما لبثت أن تخلقت منها ثلة من الواعين المخلصين الأتقياء الأنقياء الذين أعادوا للفكر الإسلامي حيويته ورونقه، وجلَوا حقيقته المبدئية وتصوره الحضاري وطريقة فعله في حياة البشر، فصنَّفوا بحق كل ما يلزم لاستئناف الحياة الإسلامية ولحمل الإسلام كقيادة فكرية وبديل حضاري للبشرية، وأصَّلوا للحل الجذري الصحيح لمشكلة البشرية.

وهذه الثلة في تصورها العميق للإسلام العظيم فكرة وطريقة وفهمها العميق للواقع، حددت غايتها ورسمت طريقة تحقيقها وطبيعة مهمتها، ثم خاضت صراعها الفكري وكفاحها السياسي لتحقيق غايتها على بصيرة، فتصدت للفكر الغربي بشقيه الرأسمالي والشيوعي، فجلت حقيقته وهدمت أسسه وبينت بطلانه وفساد أنظمته. وكشفت سياسات الغرب وفضحت استعماره ووحشيته. وما إن تبدت أحاسيس النهضة على أساس الإسلام تظهر على الأمة الإسلامية حتى جن جنون الغرب، فكيف لحضارة سادت ثم انمحى أثرها بهدم كيانها الخلافة أن تعود، وهو يرى جبروت الإسلام العظيم في سحق فكره، وهو الذي بيده السياسة والاقتصاد والتعليم والإعلام والحكام والعساكر، والمتحكم في تفاصيل الحياة في البلاد الإسلامية. والذي عمق جنون ومأساة الغرب هو المأزق المعرفي الذي وصل إليه الفكر الغربي. فمادة الصراع الحضاري هي الفكر، وأزمة الغرب الفكرية جعلته عاريًا مجردًا من سلاح الفكر اللازم لخوض الصراع الحضاري، فتحوَّل بفعل عجزه الفكري وأزمته المعرفية في مواجهة استحقاقات الصراع الحضاري مع الإسلام العظيم في الإجابة على الإشكالات الكبرى للحياة الإنسانية إلى آلة قتل تحركه غريزة البقاء ليس إلا.

خصص المعهد الفرنسي للعلاقات الدولية أحد موضوعاته الرئيسية في التقرير السنوي الصادر عنه سنة ١٩٨٧م لبحث تحت عنوان «الإسلام: قوة جديدة في العلاقات الدولية» فحلل نتائج العودة المشهودة للإسلام في العالم الإسلامي وانعكاساتها على العلاقات الدولية، وذكر التقرير أن الدول الكبرى عاجزة نظريًا عن مواجهة تيار يزداد ضدها، ويعتزم التطور على حساب نفوذها، وسماه التقرير بـ«الظاهرة الإسلامية الأصولية». [يتبع]

العلماء بوصلة الأمة، بصلاحهم تصلح الأمة(١)

عبدالرحمن العامري - اليمن

يعرف العلم بمجموعة المعلومات والمعارف التي يتلقاها الإنسان، إما من المخلوق أو من رب هذا المخلوق، فإن كانت من المخلوق؛ ضلَّ وشقى وغوى، فكيف لا، وأن هذا المخلوق عاجز وناقص ومحتاج إلى غيره، وهو الله خالق الكون والإنسان والحياة. وأما إن كانت من هذا الخالق العالم للجهر والسر وما يخفى؛ استقام ورشد واهتدى.هذا وقد تكون هذه المعلومات حقيقة تنطبق على واقع فتضحى عند من آمن بها عقيدة راسخة رسوخ الجبال الراسيات؛ فتدفعه للانطلاق والعمل نحو التغيير؛ فتكوِّن حينئذٍ مفهومًا يوجد سلوكًا له أثره في الحياة، وقد تكون معلومات لم ترقَ إلى درجة الإيمان والتصديق؛ فتبقى في النفس أسيرة لم يوجد لها بالفعل واقعًا ولا أثرًا فتكون مجرد فكرة، وقد تكون ليست سوى معلومات ليس لها واقع، فهي يقينًا تُرهَات وخيالًا وأوهامًا.

هذا وقد حثَّ وحضَّ ديننا الإسلامي الحنيف على العلم؛ لأنه بهذا العلم تصلح وتستقيم أمور الدنيا والآخرة، وبدونه تفسد فيهلك الحرث والنسل، وقد علَّم الخالق عز وجل آدم العلم، فقال في محكم كتابه: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾. نعم، هذا العلم الذي جعله الله عز وجل ميزان التقوى وميزان الكرامة وميزان التفضيل، ففضَّل بني آدم على العالمين، وكرَّمهم على سائر المخلوقات من جنٍّ وملائكة وشياطين، رغم أن قوة الجن أو الشياطين قد تكون أقوى من الإنس، ولكن بهذا العلم يتقوَّى ويتفوَّق بنو آدم على هذه المخلوقات ويسمَون ويرقَون، وقد مجَّد الله عز وجل في آياته الكريمات العلماء ورفع من شأنهم وقدرهم فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ ففي هذه الآية الكريمة قرن الله سبحانه شهادة العلماء بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلًا وتميُّزًا لصاحب العلم عن الجاهل، فما هي ياترى مميزاته وسماته:

١- إنَّ الله تعالى جعلهم (أولي العلم)، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتَّصفون بصفته.

٢- إنَّ الله تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله

يؤتيه من يشاء قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾. فإشهاده تعالى أهل العلم يتضمن ذلك تزكيتهم وتعديلهم وأنهم أمناء على ما استرعاهم عليه. قال عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ٢٨﴾ ثم تابع فقال سبحانه: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ... ﴾ فقدرهم عظيم، ومسؤوليتهم أعظم.

٣- إن العلماء بعلمهم وإخلاصهم يُرضون الله الذي أمر بالعلم والتعلم، وينفعون به أنفسهم والآخرين؛ ويصبح مثلهم كمثل النجم الساطع يحرق ويشتت أثرَ كل ظلام وأثر كل جهل، وقد قال رسول الأمة ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**» رَوَاهُ أَحْمَد وَأَصْحَابُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ. وعن أبي أمامة ﷺ قال: «ذُكِرَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان، أحدهما عالم والآخر عابد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» وقال رسول الله ﷺ: «**إن الله وملائكته وأهل أرضيه يصلون على معلم الناس الخير**» أخرجه الترمذي والطبراني في معجمه الكبير. فالرضى من الله والثواب والأجر كل الأجر لهذا العالم، فكيف لا، وقد قرن الرسول ﷺ فضل العالم بفضله صلوات ربي وسلامه عليه؟!.

٤- إن العالم يعرف أسرار الخلق وخفايا الأمور، والغاية التي من أجلها خلق الإنسان، وكيف له أن يحقق هذه الغاية؛ فيجلب لنفسه ولغيره النفع ويزيل عنها الضرر.

٥-كما إنه بهذا العلم، يعبد هذا العالم الله، والأمة من ورائه؛ فينال رضاه؛ فلا يعبده على جهل، ومن ثم يكون له الجزاء خير جزاء، فلا ينال سخطه؛ وبذلك يتقرب من كل طاعة ويبتعد عن كل معصية. فتفكُّر وتفقُّه ساعة خير من قيام ليلة، فالعبادة تتبع العلم وليس العكس.

٧-إن العالم يعمُر الدنيا بمفاهيم الإسلام الصادقة وأفكاره السديدة والقويمة، والتي تصبح في الواقع قوانين تطبق في الواقع وتلحق تغييرًا جذريًا ينجم عنه إعمار اقتصادي وسياسي وقضائي وغيره من شؤون الحياة.

٨-إن العالم ينقذ العالم وينقله من جهل الكفر إلى نور الإسلام، فهو الذي يبين الرسالة العظيمة التي خلقنا الله عز وجل من أجلها، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ وقال جلَّ ثناؤه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾؛ لذلك كان هذا العلم هو للبشر كافة، ولا يختصُّ به أحد من دون الناس؛ ولكن نظرًا للفروق الفردية التي بين البشر من ذكاء وسرعة بديهة وقوة في الحفظ وقوة في الربط بين أحكام الإسلام والواقع وغيرها من الصفات التي يتميز بها فرد دون آخر كان لهذا العلم حظ وافر ونصيب لهؤلاء الثلة من العلماء، مع عدم حكر التعليم عليهم بل هو

للجميع؛ لذلك كان لهؤلاء الكوكبة من العلماء صفات يتحلَّون بها:

١- الورع والتقوى والخشية من الله عز وجل.

٢- الجرأة في قول الحق ولو كانت عند سلطان جائر.

٣- المحبة والمودة للمسلمين والعفو عند المقدرة.

٤- عدم المداهنة والمجاملة والمحاباة.

٥- كثرة التقرب إلى الله بالطاعات والصدقة والصلاة والصيام وقراءة القرآن.

٦- الاجتهاد في الحصول على العلم والتعليم والبحث عن المسائل وأدلتها؛ وذلك ابتغاء استنباط الحكم الشرعي من الأدلة التفصيلية.

لهذه الأسباب الآنفة الذكر، كان للعلم الذي به تعمر الدنيا وتقوم ولا تقعد ويختص به العلماء من دون الناس دور في إحياء الكون. فهو أمانة ومسؤولية عظيمة أبت الجبال أن تحملها وأشفقت منها وحملها الإنسان الظَّلوم الجَهول، وكان لهؤلاء العلماء ورثة الأنبياء دور بشكل خاص. فمهمتهم جليلة ومسؤوليتهم عظيمة تكمن في تقويم أي اعوجاج في الأمة، سواء أكان صادرًا من الحكَّام أم من غيرهم، وتقويم أي فكر خاطئ سقيم أو شهوة ونزوة عابرة وراءها شيطان رجيم. نعم، تنهض الأمة بحق بهؤلاء العلماء نهضة فكرية شاملة تُحدث في الكون انقلابًا جذريًا شاملًا كاملًا، وثورة عظيمة ناهضة؛ وذلك باتخاذ عقيدة الإسلام وأحكامه مبدأً ينفذ في واقع الحياة ويفضي إلى إعمار هذا الكون أرقى إعمار. نعم، إن واجبهم عظيم ومسؤوليتهم جليلة في نبذ وتفنيد كل عقيدة باطلة، وكل فكرة منبثقة عن هذه العقيدة الفاسدة؛ وذلك ببيان فسادها وزيفها، ومن ثم هدمها وخلعها من جذورها، وغرس عقيدة الإسلام الصحيحة التي تنبثق منها أحكام الإسلام في كل نواحي الحياة. ومواقف العلماء وتقويمهم لاعوجاج الخلفاء والحكَّام ونصحهم لهم كثيرة كموقف سعيد بن جبير والحجاج، وموقف علماء هارون الرشيد معه، والتي لايتسع المقام لذكرها؛ إلا أننا سنسوق مواقف لعدد من العلماء كان لهم أثر عظيم في إنقاذ الأمة وردها عن غيِّها:

الموقف الأول: شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) مُجيِّش الجيوش في معركة شقحب:

في شهر رجب من سنة ٧٠٢هـ شاعت الأخبار بعزم التتار على دخول بلاد الشام، فانزعج الناس لذلك، واشتد خوفهم جدًا كما يقول الحافظ ابن كثير، وقنت الخطيب في الصلوات، وشرع الناس في الهرب إلى الديار المصرية والكرك والحصون المنيعة، وتأخَّر مجيء العساكر المصرية؛ فاشتد لذلك الخوف.

ووصل التتار إلى حمص وبعلبك وعاثوا في تلك البلاد فسادًا، وقلِق الناس قلقًا عظيمًا لتأخر قدوم السلطان ببقية الجيش، وخافوا خوفًا شديدًا، وبدأت الأراجيف تنتشر، وشرع المثبِّطون يوهنون من عزائم المقاتلين

ويقولون: لا طاقة للمسلمين بلقاء التتار؛ لقلة المسلمين وكثرة التتار، نعم راحوا يُشيعون الحرب النفسية التي تفتُّ من بأس الأمة، وزيَّنوا للناس التراجع والتأخر؛ ولكن قوة تأثير العلماء وقوة عقيدتهم وقفت حائلًا دون السماح بتمرير هذه الحرب النفسية الخبيثة التي تهدف إلى قتل الأمة وهي لم تبدأ بعد بخوض غمار المعركة. نعم، وقف العلماء موقف الضراغم حينما تزأر ليشهد العالم قوة بأسها، وقاموا بذلك ولاسيما شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) الذي تصدى لهؤلاء المرجفين المثبطين، حتى استطاعوا أن يُقنعوا الأمراء بالتصدي للتتار مهما كان الحال. واجتمع الأمراء وتعاهدوا وتحالفوا على لقاء العدو، وشجَّعوا أنفسهم ورعاياهم، ونودي بالبلد دمشق أن لا يرحل منه أحد؛ فسكن الناس وهدأت نفوسهم، وجلس القضاة بالجامع يشجعون الناس على القتال، وتوقَّدت الحماسة الشعبية وارتفعت الروح المعنوية عند العامة والجند، وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) أعظم التأثير في ذلك الموقف، فلقد عمل على تهدئة النفوس حتى أوجد الاستقرار الداخلي عند الناس، والشعور بالأمن ورباطة الجأش.

ثم عمل على إلهاب عواطف الأمة وإذكاء حماستها وتهيئتها لخوض معركة الخلاص، ثم توجَّه بعد ذلك إلى العسكر الواصل من حماة، فاجتمع بهم وأعلمهم بما تحالف عليه الأمراء من لقاء العدو، فأجابوا إلى ذلك. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يَحلِف للأمراء والناس: «إنكم في هذه المرة منصورون» فيقول له الأمراء: «قل إن شاء الله» فيقول: «إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا» وكان يتأوَّل في ذلك أشياء من كتاب الله، منها قول الله تعالى: ﴿ ۞ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴿٦٠﴾﴾. اللهَ اللهَ أيها العلماء، ما أروعكم حينما تقومون بدوركم فتُنهضون الأمة وتُحيونها حكامًا وجيشًا وشعبًا.

هذا وقد ظهرت عند بعضهم شُبهاتٌ تَفُتُّ في عضد المحاربين للتتار،من نحو قولهم: كيف نقاتل هؤلاء التتار وهم يظهرون الإسلام وليسوا بغاة على الإمام، فإنهم لم يكونوا في طاعته في وقت ثم خالفوه؟!

فردَّ شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) هذه الشبهة قائلًا: «هؤلاء من جنس الخوارج الذين خرجوا على عليّ ومعاوية رضي الله عنهما، ورأَوا أنهم أحق بالأمر منهما، وهؤلاء يزعمون أنهم أحق من المسلمين وهم متلبِّسون بالمعاصي والظلم»؛ فانجلى الموقف وزالت الشبهة، وتفطَّن العلماء والناس لذلك، ومضى الإمام يؤكد لهم هذا الموقف قائلًا: «إذا رأيتموني في ذلك الجانب -يريد جانب العدو- وعلى رأسي مصحف فاقتلوني»، فتشجع الناس في قتال التتار وقويت قلوبهم، وامتلأت قلعة دمشق والبلد بالناس الوافدين، وازدحمت المنازل والطرق، وخرج الشيخ ابن تيمية (رحمه الله) من دمشق صبيحة يوم الخميس من باب النصر بمشقة كبيرة وصحبته جماعة كبيرة؛ ليشهد القتال بنفسه وبمن معه. وهنا يكمن أهمية دور العلماء حين قيام الخلافة الراشدة الثانية باذن الله

تعالى، فإن المؤامرات ستستمر وستتجدد مثل هذه المواقف المعادية والمؤامرات، وأكثر من ذلك من تثبيط وإثارة شبهات؛ فلا نذهب بعيدًا فهي ماثلة في واقعنا، فما بالنا حين قيامها!؛ لذلك كان للعلماء مسؤولية عظيمة قبل قيامها وبعد قيامها، كما سبق في تشجيع الأمة وإلهاب حماسها في القتال ونشر الإسلام وكشف الدسائس وتقوية النفسية وشحنها بعقيدة التوكل على الله. رحمك الله يا بن تيمية لما أسديت للأمة من معروف تناله في الآخرة خير الجزاء، فكيف أنك ردَّيت الشبهات التي كانت تستهوي وتستهدف الأمة، فلولا علمك لسقطت الأمة في هاوية الشبهات؛ فليتعظ علماؤنا وليحاذروا من الشبهات وأثرها في إلحاق الهزيمة، وكيف يتصدَّون لها بالعلم الشرعي.

الموقف الثاني: الإمام أحمد ابن حنبل الثابت في زمن الفتنة:

الإمام أحمد وقف وقفة شجاعة أمام المأمون، ومن بعد المأمون، أمام حرب الاعتزال، أمام تضليل الأمة في عقيدتها وفي كتاب ربها، وقف هذا العالم البطل وقفة كلها شجاعة وكلها إباء، ويأتيه بعض العلماء يشد من أزره ويؤيده؛ ولذلك ذكر العلماء عن قضية من حدثه ومن وقف معه من الأمة، حتى إنه جاءه بعض طلابه وقالوا له: ألا تتأوَّل يا إمامنا؟ قال: كيف أتأوَّل والناس خلف الباب يكتبون ما أقول؟ وصمد سنوات عدة في السجن والأغلال والتعذيب، لم يثنه ذلك عن ذكر الله جلَّ وعلا. ومن هذه المواقف حقق الإمام مكانته. يقول لإمام أحمد عن نصح أحد العلماء له: ما رأيت أحدًا على حداثة سنِّه وقلة علمه أقوَمُ بأمر الله من محمد بن نوح، وإني لأرجو أن يكون الله قد ختم له بخير، قال لي ذات يوم، وأنا معه خاويين: يا أبا عبد الله، الله، الله إنك لست مثلي، أنت رجل يُقتدى به، وقد مدَّ الخلق أعناقهم إليك لِما يكون منك، فاتقِ الله، واثبُت لأمر الله... أو نحو هذا الكلام. يقول أحمد: فعجبت من تقويته لي وموعظته إيايَّ.

كان في السجن، وعندما كان يراد أن يجلد، جاءه رجل قد سجن معه فقال له: يا أحمد: إنني رجل أسرق، وكلما أسرق يؤتى بي وأجلد، ومع ذلك أخرج وأسرق مرة أخرى، فلم يؤثر بي الضرب، وأنت تقوم من أجل حماية عقيدتك، فإياك إياك أن أكون أنا أشد عزيمة منك، فاصمد للضرب. الله الله، سبحان الله كيف يأتي التثبيت؟ ومِنْ مَنْ؟!! مِنْ سارق! والله إن المـُقَل لتذرف العبرات من هذه المواقف العظيمة، فلتتعظوا أيها العلماء من هذه المواقف، نعم، هكذا يجب أن يكون علماؤنا بهذه السمات، يقولون الحق ويستشعرون المسؤولية فلا تأخذهم حب الأنا والذات، فهي رخيصة أمام إنقاذ أمة الإسلام ودولته .

الموقف الثالث: لأموتنَّ في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم:

الإمام البويطي هو العلامة سيد الفقهاء يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي، صاحبَ الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران، وكان إمامًا في العلم، قدوة في العمل، زاهدًا

ربانيًا متهجدًا، دائم الذكر.

سعى به أصحاب ابن أبي دُؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دُؤاد، رأس المعتزلة، إلى والي مصر فامتحنه، أي في محنة خلق القرآن، فلم يُجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدي بي مئة ألف، ولا يدرون المعنى! فأمر به أن يُحمل إلى بغداد.

قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غلٌ، وفي رجليه قيدٌ، وبينه وبين الغل سلسلة فيها لَبِنَةٌ طوبة وزنها أربعون رطلًا، وهو يقول: «إنما خلق الله الخلق بِكُن، فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقًا خُلق بمخلوق، ولئن دخلت عليه لأصْدُقَنّه -يعني الواثق- ولأموتنَّ في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم». وتوفي رحمه الله في قيده مسجونًا بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين من الهجرة.

الموقف الرابع: إمام الأزهر الذي نزل بكفنه إلى السوق لمواجهة تغريب المرأة:

وهو موقف حدث حديثًا في عصرنا، فعندما قامت الثورة في مصر عام ألف وتسعمائة واثنين وخمسين، قام محمد نجيب رئيس مصر في ذلك الوقت متغطرسًا وقال: سنساوي المرأة بالرجل في جميع الحقوق، وخرجت الصحف من الغد فيها أن الرئيس محمد نجيب ذكر في خطابه أنه سيساوي المرأة بالرجل، كان شيخ الأزهر في ذلك الوقت الخضر حسين رحمه الله وهو تونسي، فعندما علم بالخبر اتصل بالرئيس محمد نجيب، وقال له: إما أن تكذب الخبر، وإما سأنزل غدًا بكفني إلى السوق، وأدعو الناس إلى مواجهتك، فجاءه أعضاء مجلس الثورة، جاؤوا جميعًا إليه في مكتبه، في مشيخة الأزهر، وقالوا له: يا شيخنا، هذا الأمر صعب، ولكننا نقول لك: هذا غير صحيح.

قال: لا ينفع هذا الكلام، أريد كما أعلنتَ أمام الملأ أن تكذب أمام الملأ، وإلا سأنزل غدًا وأنا ألبس كفني، والله لن أقف حتى أنتصر في هذه المعركة أو تذهب روحي، قال له: يا مولانا أأنت مصرٌّ على موقفك؟ قال: نعم، فقام محمد نجيب وأعلن تكذيب الخبر وأنه مزيف، كيف يجوز لي أن أقول بهذا القول وهو يخالف الكتاب والسنة، وبدأ يتكلم في موقف هذا العالم الجليل رحمه الله. فلننظر في هذا الموقف العظيم كيف يفدي هذا العالم الجليل نفسه أمام مخالفة حكم شرعي واحد يراد به ضياع الأمة ونسائها، ومن ثم فلذات أكبادها. فما بالنا في أحكام الإسلام وليس حكم واحد، فياليت علماؤنا اليوم يلتمسون هذا الطريق ولا يحيدون عنه، فهو المنجي والمنقذ، ولنتدبر كيف أن لكلمة العالم صدىً وأثرًا عظيمًا في الأمة؛ فالجموع الغفيرة من الأمة تسير خلف العلماء الربانيين... إن كلمة العالم تقود الأمة للتغيير، فأكثر ما تخشاه الدول الرأي العام وجماهير الأمة، فهو بحق سلاح لو استغله العلماء خير استغلال لقادوا الأمة إلى التغيير الصحيح. [يتبع]

المبدأ الرأسمالي ونتنه على العالم (١)

محمد الزيلعي - اليمن

تستحوذ الحضارة الغربية على العالم، فبعد أن نشأت في أوروبا في القرن الثامن عشر، استطاعت هذه الحضارة أن تزيح الحضارة الإسلامية من مركز الصدارة، ثم لاحقتها في بلاد المسلمين حتى حلّت محلّها بعد النصر العسكري الذي حققه الغرب على دولة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، فأخذت زعيمتا الغرب آنذاك، بريطانيا وفرنسا، تخططان للقضاء على الحضارة الإسلامية وتجلياتها في حياة المسلمين، ثم لمنع عودتها إلى الوجود، وتتزعمهما الآن في ذلك أميركا. وكانت الفكرة الاشتراكية وطروحاتها العالمية تصفية الاستعمار، والسلم العالمي، ووحدة الطبقة العاملة، أول تحدٍّ جديٍّ يجابه حضارة الغرب، سيما بعد أن تركز في منظومة دول المعسكر الاشتراكي بزعامة روسيا. ولكن الاشتراكية لم تستطع أن تركّز حضارة خاصة بها، وواصل الناس تسيير شؤونهم بحسب معتقداتهم الدينية إلّا ما كان منها متصلًا بالدولة، التي كانت تسيّره بحسب الفكرة الاشتراكية التقدمية. وعند انهيار الاشتراكية، وتفتت الاتحاد السوفياتي في نهاية التسعينات، سقط التحدي الجدي الوحيد للرأسمالية وللحضارة الغربية؛ وبذلك تفرّدت الحضارة الغربية وطروحاتها الفكرية كالديمقراطية والليبرالية ونظام الحريات بالهيمنة على العالم. ولا يوجد الآن حضارة فيها قابلية التحدي وحتى الانتصار على الحضارة الغربية سوى حضارة الإسلام، وهي ما تزال مشاريع في أذهان المسلمين، أو أهدافًا تعمل لتحقيقها أحزاب وجماعات. فهل هذا الانتصار الكاسح لحضارة الغرب في العالم ناتج عن صحة أيديولوجية الغرب؟ أم أنه انتصار مؤقت سببه التفوق الغربي في مجال التكنولوجيا والعلوم والمكتشفات؟ سنحاول في هذه المقالة الإجابة عن ذلك.

إن الرأسمالية هي نظام اقتصادي منبثق عن فكرة كلية عن الحياة والكون والإنسان، ولإدراك واقع الرأسمالية والحكم عليها، لا بدّ من محاكمة الفكرة التي انبثقت عنها ألا وهي العلمانية، والتي تعني فصل الدين عن الحياة. وهذه العقيدة كان منبتها الغرب، وعلى وجه الخصوص أوروبا، ويكفي هذه الفكرة الأساسية فسادًا ونقصانًا أنها لم تكن نتاج إعمال العقل في واقع الكون والإنسان والحياة، وعن علاقتها بما قبلها وما بعدها، وإن كانت تقرر أحكامًا بخصوص هذه المدركات وما يربطها بما قبلها وما بعدها، إلا أنّ هذه الأحكام التي تتعلق بمبدأ الإنسان والحياة والكون كان ناتجًا عن ردة فعل للحياة العصيبة التي عاشها الغربيون في القرون الوسطى والتي تجسدت في الصراع بين الكنيسة والعلم، وبين رجال الدين الذين يطرحون أنفسهم أنهم يمثلون الله على الأرض ورجال الفكر الذين يمثلون

الحياة العلمية المرتبطة بالنواحي المادية من الحياة. ولم يكن العقل هو الحكم النهائي في حسم هذا الصراع بشكل متجرد من كل خلفية، بل دفعت الدماء التي سالت، والرعب الذي ساد، وحالة الجبروت والطغيان التي ظهرت عليها الكنيسة التي كانت تمثل الدين، وحالة القرف والامتعاض والقهر التي أدت إلى ثورة أهل العلم وأهل الفكرة، إلى أن تحسم القضية بحل وسط لعدم قدرة أحد الطرفين على إلغاء الآخر، وهو الاعتراف بالكنيسة، أي الدين، مع فصلها عن الحياة، والتي خرَّجوها على مذهب (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)، أي الاعتراف بالمتناقضات مع استحالة اجتماعها، فعندهم أنَّ الدين هو ضد العلم، وأن الإيمان يتعارض مع العقل؛ إذ إن الأول يتعلق بالمغيَّب وهو ما لا يمكن إدراكه، والثاني متعلق بالحس وبالواقع الملموس أو المحسوس، ولهذا جعلوا لكلٍ منهما مجاله، فالدين علاقة بين الإنسان وخالقه، ومجاله الكنيسة، والعلم ينظم كل العلائق الأخرى، ومجاله الحياة على سعتها... ومن هنا جاء التضارب في هذا المعتقد الذي يحتوي المتناقضات بحسب مفاهيمهم عن العلم والدين والعقل الإيمان؛ ولذلك كان من المحال التسليم بالعلمانية،أي عقيدة فصل الدين عن الحياة، فهي ليست مبنية على العقل وإنما على الحل الوسط، فهي تتضمن التسليم بالدين، أي الاعتراف بالخالق وبيوم الحساب، وكذلك بالحياة المادية العلمية التي هي محصلة العقل. وهكذا نجد أن هذه العقيدة ينقض أولها آخرها؛ لذلك كان لا بد من ردها وإنكارها.

إن العقل هو الأداة الحاكمة على الوقائع، وهو ما يتميز به الإنسان عن بقية المدركات. والناظر في واقع المدركات التي تشمل الكون والإنسان والحياة يجد أنها تستند في وجودها إلى غيرها؛ إذ إنها محدودة، فهي عاجزة وناقصة ومحتاجة، وبالتالي فهي ليست قائمة بذاتها، بل تحتاج لموجد أزلي واجب الوجود تستند في وجودها إليه وتخضع لنظامه وسننه. وللتدليل على هذه العقيدة هناك ما لا يمكن حصره من الأدلة العقلية والكونية التي بثَّها الله في أنحاء مخلوقاته، والتي تقطع بحتمية ارتباط الكون والإنسان والحياة بخالق خلقها جميعها.

ومن هنا نجد أن العقل هو الأداة الموصلة للإيمان، وأن أصل الدين هو محصلة نظر العقل في واقع الكون والإنسان والحياة؛ ومن هنا يتبين أيضًا بطلان تعميم قاعدة أن الدين يتناقض مع العقل؛ إذ إنه إن انطبق على العقيدة النصرانية التي يعترف أصحابها أنفسهم بعدم قدرة العقل على إثبات عقيدتهم، وأن اعتناقها يكون من جراء إلقاء الرب نعمة الإيمان في القلب، فالدين عندهم هو شيء تشعره ولا تعقله. إلا أنه لا ينطبق على الإسلام الذي يجعل العقل هو الحكم على صحة وصدق عقيدته، والموصل إليها.

فالعقيدة الإسلامية قائمة على أركان هي: الإيمان بوجود الخالق المدبر، والإيمان بأن

القرآن من عند الله، والإيمان بمحمد خاتم الأنبياء والرسل، وبأن ما جاء به هو من عند الله. وهذه الأركان هي جماع العقيدة الإسلامية، وهي ما يحكم العقل المجرد عن الهوى وعن أية خلفية سوى بديهيات العقل بصحتها ومطابقتها للواقع؛ هنا نجد أن الرأسمالية مبنية على عقيدة منهارة أصلًا، ولا تصلح لأن تكون القاعدة الفكرية التي يبني الإنسان عليها حياته، فالتناقض والتضارب صارخ في أصلها، وما بني على باطل فهو باطل؛ ولذلك كانت أنظمتها للحياة باطلة، ولا تحقق سعادة البشر.

ولعل التفصيل هنا يعطي نماذج واضحة على عدم صلاحية الرأسمالية للإنسان، أي إنسان؛ لأنها لا توافق الفطرة ولا تقنع العقل؛ فتملأ النفس اضطرابًا، والقلب همًّا، والحياة بؤسًا.

والإنسان وما في فطرته من غرائز وحاجات عضوية (وهي الطاقة الحيوية التي تحتاج إلى الإشباع) قد مسختها الرأسمالية، إذ أخرجت الإنسان من تحت سلطان الله وتدبيره، مع اعترافها الضمني بوجوده، فأنكرت وجود علاقة تدبير من الخالق تضبط حياة الإنسان لإصلاح حياته، فاعترفت لِلّه بالخلق، ولكن لا أمر له بيننا، ولا حكم له على أفعالنا، فالله له الخلق فقط، وليس الخلق والأمر، وهذا على عكس ما يقوله الله تعالى: ﴿**ألا له الخلق والأمر**﴾ فأقرت حاجة الإنسان إلى خالق يخلقه، وأنكرت حاجته إلى مدبّر، وهي ما تنطق بها فطرته؛ ما اضطر الإنسان للاعتماد على ذاته ليعرف مصلحته ومنفعته، فحولته إلى وحش كلٌّ همه هو إشباع أكبر قدر من اللذة الحسية الآنية؛ ولذلك كانت الأثرة والأنانية محور تفكيره. فعلى مقدار تحقيق النفعية الأنانية على قدر ما ينسجم الإنسان مع الرأسمالية، وفي هذا تشويه لفطرة الإنسان الذي لديه غرائز تعتبر من مقوماته كإنسان، وهي خارج دائرة الأنا، والتي إن لم يتم إشباعها أدى ذلك إلى شقاء الإنسان وتعاسته.

وهناك غرائز يضحي الإنسان بنفسه من أجل إشباعها، فهو يبذل نفسه رخيصة في سبيل إعلاء راية دينه أو نصر مبدئه، وهذه من مظاهر غريزة التدين، وهو يضحي بماله وبراحته وربما بنفسه من أجل أولاده، وهذه من مظاهر غريزة النوع؛ ولهذا فإن الإنسان إذا جعل نفسه مركز الدائرة التي يدور ضمنها، فإنه يشقى، والأصل في المبدأ الصحيح أن يحقق سعادة الناس.

هذا على الصعيد الفردي، أما على الصعيد العالمي، فهي تجعل العلاقات بين الدول تتحكم فيها النفعية، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، ولا تجعل للضعفاء مكانًا في الأرض؛ إذ لا أحد يفكر فيهم ولا في قضاء حوائجهم، فهم عالة على البشر، والأَولى أن يموتوا، هذه نظرة الرأسمالية اللاإنسانية، وما الاستعمار إلا المرحلة النهائية من الرأسمالية، إذ تتسابق الدول القوية على استضعاف من كان به ضعف من أجل استغلاله وامتصاص دمه، ومن هنا تنشأ المنازعات بين الدول الاستعمارية، وبالتالي الحروب المدمرة. وباستعراض

الحروب في القرنين الماضيين، نجد أن سببها التكالب على المصالح المادية، والتنازع على خيرات الشعوب، واستغلال كل ما يملكون.

وكان من أبرز هذه النظم النظام الاقتصادي الذي يهدف إلى تكثير رأس المال في المجتمع بأية وسيلة دون انضباطٍ بأخلاق ولا بقيم، وفي نفس الوقت ينظر إلى توزيع الثروة في المجتمع عن طريق أداةٍ وحيدة هي (جهاز الثمن) وهذا الأمر ولّد أمورًا كثيرة في المجتمع جلبت الدمار والخراب داخل المجتمعات الرأسمالية وخارجها؛ حيث كانت الشركات العملاقة والبنوك التي تنهب ثروات الناس تحت عنوان حرية التملك وتنميته والانتفاع بالملك، وكان التفاوت الطبقي الكبير نتيجة سيطرة الأغنياء على الثروات؛ فأصبح نسبة ١-٢٪ في المجتمعات الرأسمالية يسيطرون على أكثر من ٩٨٪ من ثروة المجتمع، و ٢٪ من البقية الباقية من الثروات توزّع على ٩٨٪ من باقي الشعب. أما في سياسة الدول الخارجية، فكان الاستعمار وكانت الحروب، وكان مصّ دماء الشعوب الضعيفة، وانتشرت فوق ذلك الجرائم والأمراض الفتاكة كالإيدز نتيجة ارتباط عقول الناس بالمنافع والأموال وعدم ارتباطهم بالقيم والأخلاق، فأصبح مرض الإيدز ينتشر بالملايين في مجتمعات الغرب، وأصبحت الجريمة تقاس بالثانية الواحدة في أرقى مدن الغرب في نيويورك وغيرها...

من هنا نشأت المشاكل والأزمات في النظام الرأسمالي منذ نشأته وتكوّنه، وصارت تكبر وتزداد مع امتداد هذا النظام وتوسّعه، فكان من مظاهر هذه الأزمات، ومنذ أوائل نشوئه في القرن التاسع عشر- أزمة الأجور وساعات العمل في أميركا؛ حيث استمرت إضرابات العمال فترةً طويلة حتى توصّلوا بعدها إلى حلّ وسط في تحديد الأجور وساعات العمل... وكان بعد ذلك أزمة الكساد العظيم في بدايات القرن العشرين سنة ١٩٢٩م، وكانت أزمة الحروب الطاحنة للسيطرة على الأسواق ورؤوس الأموال؛ فكانت الحرب العالمية الأولى ثم الثانية التي حصدت أكثر من ٢٠ مليون إنسان، وعشرات ملايين الجرحى والمعوقين، وجلبت الخراب والدمار والرعب والأمراض النفسية، ثم استمرت أزمات الصراع الدولي الساخن والبارد بين الدول العظمى، واستمرّ تسابق التسلح وإنفاق المليارات على ذلك من أجل الردع، وتخلّل هذه المرحلة الاستعمارُ العسكريّ لكثير من بلاد العالم من أجل خدمة أصحاب رؤوس الأموال والشركات الرأسمالية، ثم حصلت الأزمة الحالية في بدايات القرن الواحد والعشرين حيث بدأت بأزمة الرهن العقاري، وامتدت كالنار في الهشيم، وجلبت على العالم الدمار الاقتصادي وخساراتٍ تقدر بأكثر من ١٤ تريليون دولار، من بداية الأزمة حتى سنة ٢٠٠٨م، ثم ازدادت سنة ٢٠١١م لتصل إلى حوالى ٦٠ تريليون دولار، عدا عن انهيارات في مؤسسات مالية كبيرة، وغلاء الأسعار وارتفاع البطالة وانخفاض الأجور، وازدياد عدد الفقراء وازدياد عدد المهددين بالموت

جوعًا، وما زالت الأزمة تضرب هنا وهناك، وتنفلت نارها هنا وهناك، ويحاول قادة الغرب إطفاءها والسيطرة عليها لكن دون جدوى!!..

والقاعدة التي تستخدمها دول الغرب وعلى رأسها أميركا لتحقيق مصالحها هي: الغاية تبرر الوسيلة. وأميركا تقوم بتحقيق مصالحها وخبثها السياسي في العالم بمساعدة الأمم المتحدة التي تُعَدُّ من براثنها السياسية. ومثال ذلك سياسة أميركا في الشرق الأوسط وسوريا والعراق واليمن وأفغانستان وفي سائر البلاد. هذه السياسة أوقعت الشعوب في بحر المصائب الكبرى.

وفي الاقتصاد أيضًا، أدّى النظام الرأسمالي إلى الكوارث الكبرى. فمثلًا حسب معلومات منظمة international compassion يعيش حوالى نصف أهل الأرض الآن بـ٢،٥ دولارًا فقط أو أقل منه. وحسب تقرير منظمة Credit Suisse عن الثروات في العالم فإن ٤٥،٦٪ من ثروات العالم تتركّز في يد ٠،٧٪ من أهل الأرض فقط. وهؤلاء الـ٠،٧٪ من الناس يملكون ١١٦ تريليون دولار من أصول الثروات. وفي تقارير حول ثروة أغنى رجل في العالم الرئيس التنفيذي لشركة «أمازون» جيف بيزوس؛ إذ دخل إلى حسابه ١٢ مليار دولار أميركي في يوم واحد فقط، بمعدل ٥٠٠ مليون دولار كل ساعة، ما يعادل أكثر من ٨ ملايين و٣٣٣ ألف دولار في الدقيقة. وبهذا باتت ثروة بيزوس ١٣٤ مليار دولار أميركي، وارتفعت أسهم «أمازون» ٦،٣ في المئة في بورصة نيويورك، فقد بلغ سعر السهم الواحد ١٢،١٦١٤ دولار، بحسب موقع «بلومبرغ». أما موقع «فوربس» فأشار إلى أنّ أرباح بيزوس بلغت ٩ مليارات دولار أميركي في يومين؛ وذلك بعد ارتفاع سهم «أمازون» المالك ١٦ في المئة فقط. ويُذكر انّ بيزوس يجري مفاوضات حاليًا لشراء شركة «Flipkart» الهندية للتجارة الإلكترونية، وقد عرض على مالكيها نحو ١١ مليار و٦٠٠ مليون دولار أميركي، وأن واحدًا بالمائة من أرباحه لهذا العام ما يعادل ميزانية وزارة الصحة الإثيوبية.

وفي الوقت نفسه يعيش الملايين من الناس في الفقر ويعانون أشد العذاب من أنواع الأمراض ويموتون من الجوع. فحسب معلومات الأمم المتحدة شُوهد في عام ٢٠١٦م لدى ١٥٥ مليونًا من الأطفال التوقف عن النموّ. وقبل هذا بسنة مات ٥،٩ مليونًا من الأطفال في اليوم الثالث أو الرابع من ولادتهم. ويجيئون بهذه الوقائع أيضًا:

١. حوالى نصف أهل العالم، أي أكثر من ٣ مليار إنسان يعيش يوميًا بأقل من ٢،٥ دولارًا، وأكثر من ١،٣ مليار إنسان يعيش بأقل من ١،٢٥ دولارًا، أي يعيش في الفقر المدقع.

٢. الآن في العالم يعيش ١ مليار طفل في الفقر المدقع. وحسب معلومات يونيسيف يموت يوميًا ٢٢ ألف طفل بسبب الفقر المدقع.

٣. في العالم ٨٠٥ مليون إنسان ليس عندهم الطعام الذي يكفي لحاجاتهم.

٤. أكثر من ٧٥٠ مليون إنسان ليس عندهم إمكانية شرب الماء الصافي.

٥. شوهد في عام ٢٠١١م عند ١٦٥ مليون من #الأطفال عدم النموّ وعدم التطور نتيجة الجوع المزمن.

٦. يموت ٢ مليون طفل سنويًا بمرض الالتهاب الرئوي والإسهال. وهم الأطفال الذين يعيشون في الفقر المدقع ولا يملكون إمكانية العلاج.

٧. يعيش ربع أهل الأرض أي حوالى ١،٦ مليار إنسان بلا كهرباء.

٨. حسب تقدير أوكسفام تقتضي مكافحة الفقر المدقع ٦٠ مليار دولار، وهو أقل من رُبع دخل ١٠٠ مليارديـر.

علاوة على ذلك زاد عدد العاطلين عن العمل، وحسب تقرير منظمة العمل الدولية وصل عدد العاطلين في العالم عام ٢٠١٧م إلى مستوى قياسي أي إلى ١٩٢،٧مليون شخص. ولا شك هذه بعض الثمرات النتنة المـرَّة لتطبيق النظام الرأسمالي.

في الحقيقة إن النظام الرأسمالي شرير، ودول الغرب الاستعمارية وعلى رأسها أميركا شريرة، ويشهد على شرها أهلها أنفسهم. فالمخرج الأميركي المعروف مايكل مور يقول إن الرأسمالية شريرة، لا يمكن إصلاحها إنما يجب إزالتها.

إن النظام الرأسمالي كفر، وجرائم رأس الكفر أميركا لا تحصى. وضحايا أميركا: هيروشيما، وناغاساكي، والشرق الأوسط، والعراق، وأفغانستان، وسوريا، وليبيا، والصومال، وغيرها من البلاد... ويمكن مواصلة قائمة جرائمها طويلًا.، بينما أميركا ظلمت ولا تزال تظلم البشرية كلها، وقتلت ولا تزال تقتل الناس وأولادهم. فمثلًا حسب تقرير منظمة أطباء من أجل المسؤولية الاجتماعية (وهي منظمة الأطباء التي تكافح لمنع الحرب النووية) قُتل في حرب أميركا على العراق وأفغانستان وباكستان واليمن فقط، والتي استمرت ١٢ سنة، ١,٢ مليون إنسان. وحسب تقرير ممثل الأمين العام للأمم المتحدة ستيفان يوجارّيك قتل في عام ٢٠١٦م فقط ٨ آلاف طفل. ولا شك في أنها معلومات إحصائية رسمية، وفي الحقيقة عدد الضحايا أكثر من ذلك أضعافًا مضاعفة.

وفي السنوات الأخيرة، ظهرت بدع العولمة والخصخصة، التي تجعل للأقوياء حق استغلال الطاقات البشرية والفنية، والموارد الطبيعية، والأسواق التجارية في كل مكان في العالم، وذلك بشكل مسموح به قانونيًا، وتؤكده الاتفاقات الدولية مثل منظمة التجارة العالمية، ويُعمل على حماية هذه الاستثمارات بقوة السلاح، حتى لا يخطر ببال أحد أن ينقلب عليها ويطالب بترحيلها أو بإضعاف سطوتها.

والسوال الذي يطرح نفسه، لماذا بقي هذا المبدأ صامدًا إلى الوقت الحاضر؟ وبمعنى آخر ماهي أهم الترقيعات التي ساندت هذا المبدأ المنتهي أصلًا في نظر أصحاب الفكر -المستنير؟. وهذه بعض الأسباب الداعمة له حتى يتسنى له البقاء والاستمرار [يتبع]

سياسة أميركا تجاه دول أميركا اللاتينية

د. إبراهيم التميمي
عضو المكتب الإعلامي لحزب التحرير
في الأرض المباركة فلسطين

قبل الخوض في الموضوع، نستعرض بعض الحقائق عن أميركا اللاتينية كما وردت في كتاب(خيارات صعبة)لوزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون: فأميركا اللاتينية تضم ٣٦ دولة وإقليمًا، ويبلغ مجموع سكانها حوالى ٦٠٠ مليون نسمة، وحوالى ٤٠٪ من مجمل صادرات أميركا تذهب إليها وإلى كندا، مقابل ٢١٪ إلى الاتحاد الأوروبي، و٧٪ إلى الصين، والباقي إلى مناطق متفرقة من العالم، ويعدُّ اقتصاد دول أميركا اللاتينية مجتمعة أكبر بثلاثة أضعاف من اقتصاد الهند أو روسيا ولا يبتعد كثيرًا عن الصين أو اليابان، وناتجها المحلي الإجمالي السنوي يفوق خمسة تريليونات دولار، وتربط إحدى دولها حدود برية طويلة مع الولايات المتحدة حيث تتشارك المكسيك وأميركا حدودًا تمتد حوالى ألفي ميل.

السياسة الخارجية الأميركية تجاه دول أميركا اللاتينية:

تتعامل أميركا مع دول أميركا اللاتينية وفق سياسة ثابتة تقوم على حفظ مصالح أميركا الاقتصادية والسياسية في تلك الدول، والحيلولة دون أن تصبح تلك الدول مصدر تهديد لأميركا وأمنها بشكل فعلي، سواء من خلال استغلالها من قبل دول كبرى أخرى أم بدافع ذاتي من تلك الدول، ويتم تنفيذ هذه السياسة من خلال:

أولًا: تحييدها من حلبة الصراع الدولي

وقد أطلق شرارة هذه السياسة الرئيس الأميركي جيمس مونرو صاحب التصريح المشهور عام ١٨٢٣م حيث قال فيه: «إن الولايات المتحدة لا تسمح لأية دولة أوروبية بالتدخل في شؤون القارة الأميركية، واحتلال أي جزء منها»، جاء هذا التصريح ردًا على محاولة الدول الكبرى في ذلك الوقت التدخل في شؤون القارة الأميركية ومساعدة إسبانيا على استرداد مستعمراتها.

ومنذ تلك اللحظة عملت أميركا وفق هذه القاعدة وسارت عليها حتى نجحت في تحييد معظم دول أميركا اللاتينية من الصراع الدولي، حيث لم يبقَ للأوروبيين سوى بعض التأثير على بعض الدول في أميركا اللاتينية؛ ولكنه لا يرقى إلى درجة الصراع الدولي الفعلي ولا يشكل خطرًا على أميركا. ومع سقوط الاتحاد السوفياتي، أصبحت مصالح أميركا بعيدة كل البعد عن التهديد الفعلي انطلاقًا من تلك الدول، فلا قواعد عسكرية لدول كبرى أخرى، ولا أعمال سياسية وخطط ذات شأن تنطلق من تلك الدول للتشويش على السياسة الأميركية أو عرقلة المشاريع التي تعدها للقارة والعالم.

ثانيًا: الهيمنة من خلال المنظمات الدولية على غرار الأمم المتحدة

برزت تلك المساعي عام ١٨٨٩م؛ حيث عملت أميركا على تأسيس هيئة تجمع بلدان القارة الأميركية، وعُقِد أول مؤتمر دولي لهذا

الهدف ما بين تشرين أول/أكتوبر ١٨٨٩م ونيسان/أبريل ١٨٩٠م في العاصمة الأميركية واشنطن بدعوة من أميركا وبمشاركة ١٨ دولة من دول القارة، وتم خلال هذا المؤتمر الاتفاق على تأسيس مكتب «الاتحاد الدولي لجمهوريات أميركا للتوزيع الجيد وتوزيع المعلومات التجارية» والذي تحول لاحقًا إلى «اتحاد بلدان أميركا» (Pan American Union)، ومن ثم استبدل هذا المكتب باسم «اتحاد عموم أميركا التاسع» الذي انعقد في عاصمة كولومبيا بوغوتا، ودخل الميثاق الأساسي للمنظمة حيز التنفيذ في كانون الأول/ديسمبر ١٩٥١م، ثم عُدّل في شباط/فبراير ١٩٧٠م واتخذ اسم «الأمانة العامة لمنظمة الدول الأميركية» OAS. (الجزيرة نت)

وأصبحت تلك المنظمة التي أنشأتها أميركا وتسيطر عليها أداة فعالة في التأثير والهيمنة على دول أميركا اللاتينية وضبط سياستها بما يتفق مع السياسة الأميركية. وللمزيد من التأثير على دول أميركا اللاتينية وجعلها لا تخرج عن الفلك الأميركي تم إضافة أداة فعالة أخرى إلى جانب منظمة الدول الأميركية، وهذه الأداة هي ما أطلق عليه مسمى قمة الأميركيتين؛ حيث دعا الرئيس الأميركي بيل كلينتون عام ١٩٩٤م إلى قمة الأميركيتين الأولى في ميامي، ودعا جميع دول القارتين باستثناء كوبا لحضور تلك القمة التي عقدت بحضور جميع المدعوين، ومن ثم تم الاتفاق على عقد القمة بشكل دوري كل أربعة أعوام لبحث الأمور السياسية والاقتصادية المتعلقة بالقارة، وبذلك نجحت الولايات المتحدة في إنشاء أداة فعالة إضافية للتأثير على دول أميركا اللاتينية، وهي قمة الأميركيتين وما يخرج عنها من قرارات.

ثالثًا: الانقلابات العسكرية

استخدمت الولايات المتحدة هذه السياسة في كثير من دول أميركا اللاتينية لإيصال حكام قريبين وموالين لها إلى الحكم خاصة في فترة الصراع مع المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي، فمثلًا دعمت الولايات المتحدة الانقلاب العسكري في الأرجنتين عام ١٩٧٦م على الرئيس الأرجنتيني الذي كان اشتراكي التوجه «إيزابيل بيرون» وكان الانقلاب بقيادة الجنرال «جورج رافائيل فيديلا» الذي تحالف مع الولايات المتحدة، واستمر هذا الانقلاب حتى عام ١٩٨٣م، وتسبب في مقتل نحو ٣٠ ألف شخص، وقد عُرفت هذه الفترة باسم «الحرب القذرة»؛ وأيضًا دعم الرئيس الأميركي جونسون الانقلاب العسكري في البرازيل عام ١٩٦٣م على الرئيس «خواو غولارت» حيث تحالفت الولايات المتحدة مع قائد أركان الجيش البرازيلي في ذلك الوقت «أومبرتو كاستيلو برانكو» الذي أطاح بالرئيس خواو غولارت لمنع البرازيل من أن تتحول إلى «صين الستينات» كما قال السفير الأميركي في ذلك الوقت لينكولن جوردون. وكذلك أيضًا ما حصل في بنما حيث جنَّدت الولايات المتحدة مانويل نورييغا الذي درس في كلية تابعة للجيش الأميركي في بنما، ومن ثم استعانت به للتخلص من قائد الحرس الوطني عمر توريخوس، والذي كان يمثل الحاكم الفعلي للبلاد، والذي عمل على إخراج القوات الأميركية من بنما وإعادة السيطرة الفعلية لبنما على القناة المائية، وهو من قام بتوقيع معاهدة توريخوس كارتر في واشنطن

دي سي في ٧ أيلول/سبتمبر ١٩٧٧م، ونصت المعاهدة على أن تحصل بنما على حق إدارة القناة وخروج كامل للجيش الأميركي بحلول عام ١٩٩٩م بشكل أغضب واشنطن التي حركت نوريغا الذي نجح في اغتيال توريخوس بتفجير طائرته عام ١٩٨١م، ومن ثم تولى الحكم حتى عام ١٩٩٠م. وأيضًا ما حصل في تشيلي عام ١٩٧٣م على يد حليفها أوجستو بينوشيه قائد الجيش الذي حاصر القصر الرئاسي وقتل الرئيس سلفادور الليندي. وفي بعض الأحيان كانت الولايات المتحدة تنقلب على حلفائها وتلقيهم على قارعة الطريق وتجعلهم فريسة للمحاكم المحلية والدولية إذا ما استنزفت خدماتهم وأصبحوا غير قادرين على الإمساك بزمام الأمور حتى لا تخرج تلك الدول من الفلك الأميركي كما فعلت مع مانويل نورييغا؛ حيث قامت الولايات المتحدة باعتقاله خلال عملية عسكرية في عهد الرئيس بوش الأب، ومن ثم وضعه في السجن لمدة عشرين عامًا بتهمة المتاجرة بالمخدرات ومن ثم تسليمه لفرنسا. وكذلك فعلت مع رافائيل فيديلا الذي توفي في السجن عام ٢٠١٣م في الأرجنتين. وأيضًا مانويل زيلايا عام ٢٠٠٣م الذي اعتقلته من قصره الرئاسي في هايتي ونفته إلى جنوب أفريقيا. وأيضًا أوجستو بينوشيه الذي تركته فريسة للاعتقال في لندن عام ١٩٩٨م، ومن ثم حوكم في تشيلي ووضع رهن الإقامة الجبرية حتى توفي عام ٢٠٠٦م.

وما زالت أميركا تستخدم سياسة الانقلابات العسكرية إلى اليوم؛ حيث دعمت الانقلاب العسكري في هندوراس عام ٢٠٠٩م على الرئيس مانويل زيلايا؛ حيث تم اعتقاله بثياب النوم ومن ثم نفي إلى كوستاريكا بشكل أثار غضب دول أميركا اللاتينية؛ حتى وصل الأمر إلى إخراج هندوراس من منظمة الدول الأميركية، ولكن الولايات المتحدة نجحت في امتصاص غضبهم والوصول إلى هدفها وهو عزل الرئيس زيلايا المناوئ لسياستها وإيصال حليفها بورفير يولوبو بإخراج ذكي؛ حيث أشرفت على إعادة زيلايا إلى هندوراس والاتفاق على تشكيل حكومة وحدة وطنية تدير البلاد حتى فترة الانتخابات، ومن ثم رتبت رفض الكونغرس الهندوراسي بأغلبية ساحقة إعادة زيلايا إلى الحكم؛ وعندها أدرك زيلايا أنه خسر اللعبة فسافر إلى الدومينيكان وترك هندوراس، ومن ثم حصلت الانتخابات وفاز حليف الولايات المتحدة المنافس السابق لزيلايا على منصب الرئاسة عام ٢٠٠٥م بورفير يولوبو ووصل إلى الحكم، ومن ثم أعادت الولايات المتحدة هندوراس إلى منظمة الدول الأميركية.

وكذلك ما يحصل حاليًا في فنزويلا حيث تدعم أميركا وبشكل علني تمرد رئيس البرلمان الفنزويلي خوان غوايدو بمساندة بعض الضباط والجنرالات في الجيش على الرئيس نيكولاس مادورو. وبشيء من التفصيل في موضوع فنزويلا الشائك هذه الأيام، يرى المتابع أن أميركا فور إعلان غوايدو نفسه رئيسًا مؤقتًا للبلاد بتاريخ ٢٠١٩/١/٢٣م كانت أول من اعترف به من خلال تغريدة للرئيس الأميركي على تويتر كانت بعد دقائق من إعلان غوايدو، وطالبت بقية دول العالم أن تحذو حذوها، وهو ما حصل، ومن ثم انتقلت للتدخل بشكل مباشر للإطاحة بالرئيس مادورو الذي توجه إلى الجيش الذي

سانده وحال دون الإطاحة به إلى هذه اللحظة رغم حجم الضغط والتآمر الأميركي الكبير عليه، ومن ذلك التآمر:

- مطالبة الرئيس الأميركي دونالد ترامب بشكل مباشر الجيش الفنزويلي بالتخلي عن دعم الرئيس مادورو، فجاء الرد واضحًا على لسان وزير الدفاع فلاديمير بادرينو حيث صرح «إنه على أولئك الذين يحاولون الاستيلاء على السلطة أن يمروا فوق جثث أفراد الجيش أولًا، وقال إذا أرادوا ابتزازنا دعهم يبتزوننا، وإذا أرادوا فرض عقوبات علينا دعهم يفرضونها؛ لكننا سنظل مدافعين عن الوطن»، وكذلك وصف خطاب الرئيس دونالد ترامب بالمتكبر وغير المقبول وأنه لا معنى له، ورفض ما جاء فيه من دعوة الجيش الفنزويلي للتوقف عن دعم الرئيس مادورو.
- تهديد الرئيس الأميركي بالتدخل العسكري في فنزويلا حيث صرح دونالد ترامب أن إرسال قوات عسكرية إلى فنزويلا هو «أحد الخيارات» المطروحة، وأنه رفض طلبًا من الرئيس نيكولاس مادورو للقائه.
- فرض أميركا عقوبات على شركة النفط الفنزويلية الحكومية PDVASA وتجميد أصول لها بقيمة ٧ مليارات دولار، وفرض حظر على التعامل معها بشكل فاقم الأزمة الاقتصادية في بلد يعاني من فقر ونسبة تضخم خيالية.
- إعلان جون بولتون مستشار الأمن القومي الأميركي بنفسه في تغريدة على تويتر أن الملحق العسكري الفنزويلي في الأمم المتحدة الكولونيل بيدرو شيرينوس أعلن اعترافه الرسمي بخوان غوايدو رئيسًا مؤقتًا لفنزويلا.
- دعوة الرئيس السابق للمخابرات العسكرية هوغو كارفاخال في حديث مع صحيفة نيويورك تايمز وبتوجيه من أميركا، الجنرالات الفنزويليين لكسر ولائهم لمادورو والتمرد عليه، وكان كارفاخال الذي شغل هذا المنصب الحساس لمدة عشر سنوات وتقاعد عام ٢٠١٢م قد أعلن انشقاقه عن مادورو ووصفه بالدكتاتور.
- محاولة أميركا إدخال مساعدات إنسانية بالقوة إلى فنزويلا لدعم حليفها غوايدو الذي طالب بهذه المساعدات بتوجيه من الولايات المتحدة لمحاولة جر الأمور إلى حالة من الانفلات والمواجهة الدموية بين الشعب والجيش الذي بدوره سيمنع إدخال المساعدات وسوف يقمع الاحتجاجات بقوة، وهو ما تريده أميركا ليكون ذريعة للتدخل العسكري للإطاحة بنيكولاس بحجة حماية المدنيين، ولكن نيكولاس نجح في ضبط الحدود فقام بإغلاق الحدود مع جزر أوربة وكوراساو وبونير في البحر الكاريبي، وهذه الجزر تتبع للسلطات الهولندية، ومن ثم قام بإغلاق الحدود مع البرازيل وكولومبيا ونجح في ضبط المواجهات التي أسفرت عن عدد محدود من القتلى والجرحى.
- تَزعُّم أميركا للتحرك الدولي الضاغط باتجاه تنحي نيكولاس مادورو وتسليم السلطة بشكل مؤقت إلى غوايدو الذي بدوره سينظم انتخابات رئاسية وبرلمانية في البلاد، ومن المتوقع أن تنجح أميركا في عزل مادورو في نهاية الأمر وذلك في ظل الضغط الدولي عليه ومساندة الاتحاد الأوروبي، مقابل الدعم الضعيف من روسيا والصين، وأيضًا موافقة معظم دول أميركا اللاتينية للموقف الأميركي وخاصة تلك التي لها حدود مع فنزويلا ومنها كولومبيا التي

تدور في الفلك الأميركي. وكذلك البرازيل حاليًا بعد وصول الرئيس جايربولسونارو مطلع عام ٢٠١٩م، وهو الذي يدور في الفلك الأميركي حيث لا يخفي إعجابه بشخصية ترامب ويوافقه الرأي في التشكيك في التغير المناخي وانتقاد كوبا ونيكاراغوا، ويسانده في إسقاط نيكولاس مادورو على عكس الرئيسة السابقة ديلما روسيف التي انضمت لمجموعة بريكس لكسر الهيمنة الأميركية، وعزلها مجلس الشيوخ بعد تصاعد الاحتجاجات على الأوضاع الاقتصادية التي لعبت في مفاقمتها أسواق وول ستريت والصندوق الوطني الأميركي والوكالة الأميركية للتنمية فيما سمي بالانقلاب الناعم من أميركا على الرئيسة ديلما روسيف.

رابعًا: إثارة القلاقل والمشاكل ودعم الجماعات المسلحة:

استخدمت أميركا هذه السياسة في الكثير من دول أميركا اللاتينية، سواء في فترة الصراع مع المعسكر الشرقي أم بعد سقوطه؛ بهدف جعل تلك الدول تعيش في حالة فوضى وعدم استقرار تبقيها دولًا فاشلة بحاجة إلى مساعدة أميركا لحفظ أمنها وإطعام شعوبها، والحيلولة دون استثمار تلك الدول لمواردها البشرية والطبيعية بشكل فعال قد يوجد عندها ميولًا أو تفكيرًا بمنافسة النفوذ الأميركي السياسي أو الاقتصادي في القارة الأميركية على الأقل، ومن الأمثلة على تلك السياسة ما حصل في نيكاراغوا - فضيحة إيران غيت - وغواتيمالا وكولومبيا وهايتي وتشيلي وبوليفيا والإكوادور وغيرها من دول أميركا اللاتينية، وما يحصل في المكسيك وهندوراس حاليًا، ونتج عن تلك السياسة قتل مئات الآلاف من الأبرياء وتهجير الملايين وإلحاق الدمار بتلك الدول؛ فمثلًا في غواتيمالا تسببت تلك السياسة بقتل ما يزيد عن ٢٠٠ ألف شخص خلال القرن المنصرم، وفي هندوراس تسببت تلك السياسة بهجرة جماعية للسكان خلال العام الماضي أطلقت عليها بعض وسائل الإعلام عنوان - هجرة جماعية لشعب بأكمله - أما في هايتي فقد نتج عن تلك السياسات جوع وفقر مدقع وصلت نسبته إلى ٨٠٪ من السكان وتشريد مئات الآلاف.

خامسًا: سياسة فرض العقوبات والحصار على الدول التي تبدي مقاومة للنفوذ والهيمنة الأميركية:

لجأت أميركا إلى أسلوب العقاب والتأديب تجاه أي دولة تبدي أية مقاومة للسياسة الأميركية؛ حيث تقوم أميركا بالتضييق على الدول التي تظهر تمردًا تجاه سياستها وتفرض عقوبات اقتصادية عليها ترهقها وترهق شعوبها وتفقرهم وذلك لتحقيق أحد هدفين؛ إما ثورة تلك الشعوب على حكامهم ومن ثم مجيء من يتماشى مع السياسة الأميركية وينصاع لها، أو استسلام حكام تلك الدول والقبول بالسير وفق السياسة الأميركية كما حصل مع كوبا سابقًا ويحصل مع فنزويلا الآن، وجعل تلك الدول عبرة لغيرها فلا يجرؤ أحد على مساندتها أو تقليدها.

سادسًا: التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول تحت عناوين مختلفة منها

— المساعدة في محاربة المخدرات والجماعات المسلحة:

ومن الأمثلة على ذلك ما عرف بخطة

كولومبيا في عهد بيل كلينتون والتي حظيت بدعم من الحزبين في الكونغرس تحت عنوان المحافظة على النظام الديمقراطي من الجماعات المسلحة ومهربي المخدرات؛ حيث تم دعم الرئيس الكولومبي باسترانا وتقديم حوالى مليار دولار لمساعدته ضد عصابات المخدرات وفصائل اليسار المتمردة المعروفة باسم فارك. وفي عهد إدارة الرئيس بوش الابن تم توسيع الخطة مع خليفة باسترانا ألفارو أوريبي، ومن ثم استمر الحال في عهد إدارة الرئيس باراك أوباما وذلك بهدف جعل كولومبيا تدعم أميركا في سياستها، وهو ما يكشفه قول هيلاري كلينتون خلال اجتماع مع الرئيس أوريبي «أمضينا وقتًا في التحدث عن الطريقة التي تمكن كولومبيا وأميركا من العمل معًا في مجلس الأمن الدولي على القضايا العالمية وسبل توسيع العلاقات التجارية»، وبوصول خوان مانويل الذي درس في أميركا إلى السلطة توسعت هذه العلاقات وازدادت.

وكذلك خطة ميرادا التي وقعها الرئيس بوش الابن مع رئيس المكسيك، وتلتزم أميركا بموجبها بتقديم مساعدات مالية وعسكرية للمكسيك لمواجهة عصابات المخدرات؛ حيث تشكل المكسيك البوابة الرئيسية لتدفق المخدرات إلى أميركا، وهذه عناوين كاذبة ظاهرها المساعدة والخدمة وحقيقتها التغطية على الجرائم الأميركية بحق تلك الدول، والتغطية على التدخل في شؤونها وجعلها تدور في الفلك الأميركي.

ومن الحقائق التي تبين ذلك ما صرحت به هيلاري كلينتون وزيرة الخارجية خلال حقبة أوباما حيث صرحت: «إن ٩٠٪ من الأسلحة التي تستخدمها عصابات المخدرات في المكسيك مصدرها الولايات المتحدة» وهو ما عبر عنه الرئيس المكسيكي كالديرون - الذي قوضت عصابات المخدرات خططه المتعلقة بالتعليم وتحسين الوضع الاقتصادي للبلاد - في مقابلة مع هيلاري كلينتون حيث قال: كيف يفترض بي أن أضع حدًا لعصابات المخدرات المسلحة تسليحًا جيدًا فيما أنتم لا تعترضون الأسلحة التي تشتريها تلك العصابات عبر الحدود؟! وكيف أضع حدًا لتجارة المخدرات في اللحظة التي بدأت فيها بعض ولاياتكم تضفي الشرعية على استخدام الماريغوانا؟! لِمَ يتوجب على مواطني ورجال الشرطة والجيش وضع حياتهم على المحك في هذه الظروف؟!

وقد لخص هذه الأنانية الأميركية تصريح لوزير الداخلية المكسيكي ميغيل أنخيل أوسور متحدثًا للإذاعة المكسيكية عقب زيارة وزير الخارجية الأميركي السابق في عهد ترامب ريكس تيلرسون ووزير الأمن الداخلي السابق جون كيلي حيث قال: «إن المكسيك كانت دولة أقوى قبل توقيع اتفاقيات من هذا القبيل، وأن بلاده ليست بحاجة للمساعدات المالية الأميركية» وذلك ردًا على إصدار قرار من الرئيس الأميركي دونالد ترامب يقضي بإعداد تقرير عن المساعدات التي قدمتها الولايات المتحدة لجارتها الجنوبية على مدى السنوات الخمس الماضية، وحديث ترامب المتكرر عن ضرورة بناء جدار على الحدود المكسيكية الأميركية لمنع الهجرة غير الشرعية.

— الحفاظ على النظام الديمقراطي الذي أتى من خلال صناديق الاقتراع:

كما حصل في هايتي حيث تم تنفيذ انقلاب عسكري بقيادة وتوجيه أميركا على الانقلابيين الذين انقلبوا على الرئيس المنتخب جون أريستيد عام ١٩٩٠م، حيث مكث أريستيد في أميركا حتى تمت إعادته إلى الحكم عام ١٩٩٤م برفقة الجنود الأميركان في عملية سميت «إحلال الديمقراطية»، والهدف الحقيقي كان مواجهة النفوذ الفرنسي في تلك المنطقة التي تحولت إلى جحيم بفعل الاستعمار بعد أن كانت تسمى لؤلؤة البحر الكاريبي، وليس كما تدعي أميركا الحفاظ على الديمقراطية، فمن المعلوم أن أميركا هي التي دعمت الانقلاب في تشيلي على الرئيس سلفادور الليندي مع أنه وصل للحكم من خلال صناديق الاقتراع؛ ولكنه كان اشتراكي التوجه ويعارض الهيمنة الأميركية على دول أميركا اللاتينية، فقامت أميركا بدعم الجنرال أوجستو بينوشيه قائد الجيش عام ١٩٧٣م الذي حاصر القصر الرئاسي وقتل الرئيس سلفادور الليندي ومن ثم استلم بينوشيه منصب الرئاسة حتى عام ١٩٩٠م؛ ولكنه بقي القائد الفعلي للجيش حتى عام ١٩٩٨م.

والخلاصة أن أميركا تحرص كل الحرص على إبقاء دول أميركا اللاتينية سوقًا لمنتجاتها وداعمة لسياستها في القارة والعالم، وتبذل الوسع في سد الطريق أمام كل من يحاول العبث في حديقتها الخلفية وجعلها منطلقًا للتشويش على السياسات الأميركية في العالم والقارة الأميركية، وكذلك تعمل على جعل هذه الدول وخاصة من تمتلك منها مقومات قادرة على جعلها دولًا قوية ومنافسة للسياسة الأميركية في القارة الأميركية مثل البرازيل، تعمل على جعلها دولًا تدور في الفلك الأميركي من خلال الخطط والأساليب التي ذكرناها خلال الموضوع إضافة إلى الأدوات وعلى رأسها منظمة الدول الأميركية التي سنختم الموضوع بمثال ذكرته وزيرة الخارجية في عهد الرئيس السابق باراك أوباما هيلاري كلينتون في كتابها (خيارات صعبة) نوضح ونكشف من خلال هذا المثال كيفية الخبث الأميركي في استخدام هذه الأداة لتمرير سياستها في القارة وفرض هيمنتها ورؤيتها السياسية فيما يطرح من ملفات، وإن حاولت هيلاري التغطية بعض الشيء على ذلك.

في زيارة لوزيرة الخارجية الأميركية هيلاري كلينتون لهندوراس لحضور الاجتماع السنوي لمنظمة الدول الأميركية؛ حيث يتنقل عقد هذا الاجتماع بين دول القارة، وهذه المرة كان من نصيب هندوراس التي تعادل مساحتها مساحة ولاية مسيسيبي، ويقطنها حوالى ٨ ملايين نسمة من أفقر الناس في دول أميركا اللاتينية.

وفي تلك القمة أرادت بعض دول أميركا اللاتينية التصويت على رفع تعليق عضوية كوبا في المنظمة والذي صدر عام ١٩٦٢م، وشعرت أميركا أن ذلك ممكن أن يحصل حيث يحتاج رفع تعليق العضوية إلى موافقة الثلثين من الناحية التقنية (في قانون المنظمة يكفي رفض أي عضو لتعليق القرار) والكثير من دول أميركا اللاتينية ترى أن تعليق العضوية لم يعد له لزوم، ويجب إعادة كوبا إلى المنظمة وإلى الأسرة الدولية، ويتعاطفون معها في ظل الحصار الاقتصادي والعزلة السياسية المفروضة عليها. وفي المقابل أميركا لا تريد ذلك، ليس لمعاقبة كوبا حيث كان الرئيس أوباما قد وعد

ببداية جديدة عند تسلمه رئاسة أميركا، وفعلًا تم استعادة البريد المباشر بين البلدين، وكذلك التعاون على عمليات الهجرة، وكان أوباما قد صرح أنه يجب تخطي المناقشات التي لا جدوى منها عن الحرب الباردة، وكان ذلك قبل هذه القمة، ولكن كما أوضحت هيلاري كلينتون في كتابها (خيارات صعبة) أن إصدار هذا القرار في هذا الوقت وبهذا الإخراج هو إفشال للخطة الأميركية التي تريد الأمر على مراحل ومقابل تنازلات، وأن يتم إخراجه بصورة أنها صاحبة القول الفصل في هذه القضية وجعل ذلك في وقت مناسب لتحقيق مكاسب سياسية على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وأيضًا ترى أميركا أنه يجب منع إصدار هكذا قرار من المنظمة في ظل رفضها لذلك؛ لأن في ذلك ليّ ذراع لها ومن الممكن أن يكون مدخلًا لتفلت دول أميركا اللاتينية منها في المستقبل؛ وبذلك وجدت أميركا نفسها أنها أصبحت أمام خيارين:

الأول: رفض أميركا لرفع تعليق عضوية كوبا في مواجهة موافقة الدول الأخرى، وهذا يظهرها بمظهر أنها معزولة في ساحتها الخلفية ولا يمنع نفاذ القرار. **والثاني:** القبول برفع تعليق عضوية كوبا وهذا يظهر أنها خضعت لقرار المنظمة وتم ليّ ذراعها وإهانتها، خاصة وأن الأخوين كاسترو حضرا القمة وأعربا عن عدم اهتمامهما بالانضمام للمنظمة؛ ولذلك بحثت أميركا عن حيلة للتخلص من هذين الخيارين، وكانت الحيلة بأن صرحت وزيرة الخارجية هيلاري: «نحن نتطلع إلى يوم تنضم فيه كوبا إلى المنظمة، ولكننا نعتقد أن العضوية في المنظمة يجب أن تترافق مع المسؤولية، ونحن مدينون بعضنا لبعض بها لدعم معاييرنا في الديمقراطية والحكم الرشيد مما يجعل قارتنا تحقق الكثير من التقدم، الأمر لا يتعلق بالماضي بل بالمستقبل، وعلى الأعضاء أن يكونوا صادقين ومخلصين للمبادئ التأسيسية لهذه المنظمة» أي جعل رفع تعليق العضوية مقابل شروط، وبما أن ذريعة تعليق العضوية تمسك كوبا بالماركسية اللينينية واصطفافها مع المعسكر الشرقي أصبحت من الماضي ومحل سخرية؛ فلا بد من البحث عن ذريعة أخرى.

وتم الخروج بذريعة جديدة بمساعدة كبير مستشاري هيلاري كلينتون لشؤون أميركا اللاتينية والمساعد الأيمن لشؤون نصف الكرة الغربي توم شانون، وهو ضابط كبير في وزارة الخارجية وخدم في عهود خمس إدارات، وتولى إدارة شؤون أميركا اللاتينية مع الوزيرة رايس - مما يبين مدى الاهتمام السياسي لأميركا بشؤون دول أميركا اللاتينية - وكانت الذريعة هي التركيز على انتهاكات حقوق الإنسان التي تتعارض مع ميثاق المنظمة؛ وبذلك وضعت أميركا خيارًا ثالثًا أو حلًا وسطًا على عادتها، وهو رفع تعليق العضوية بعد أن تقدم كوبا التماسًا بذلك وتتعهد بإجراء إصلاحات ديمقراطية، وقامت هيلاري ومساعدها بإقناع الدول التي لها تأثير مثل تشيلي برئاسة ميشيل باشليه، واتصل أوباما مباشرة بالرئيس البرازيلي لويز إيناس لولا وطلب منه دعم هذه التسوية للحفاظ على الديمقراطية، وانطلت هذه الحيلة الأميركية على الكثير من دول أميركا اللاتينية حيث ظنت بأن ذلك سيحل مشكلة، ولم يدركوا أن أميركا وضعت هذا الطرح وهي تعلم بأن

ذلك سيغضب كوبا وسيدفعها لرفضه بشكل يظهر أن كوبا هي التي ترفض حل المشكلة وليس أميركا، وفي الوقت ذاته تفشل التحرك الفنزويلي النيكاراغوي ليّ ذراع أميركا بالتهديد بالانسحاب من المنظمة في حال لم يطرح الأمر للتصويت بالصيغة السابقة، وهو رفع تعليق العضوية دون شروط والذي لو طرح لحاز على موافقة معظم دول أميركا اللاتينية بما فيها البرازيل وتشيلي، وأيضًا تحبط المساعي الرامية إلى تفتيت المنظمة التي أنشأتها أميركا لتكون أداة فعالة في يدها حيث صرح رئيس هندوراس زيلايا أن اليوم الذي تم فيه التصويت على تعليق عضوية كوبا عام ١٩٦٢م هو وصمة عار في تاريخ المنظمة، أما الرئيس النيكاراغوي دانييل أورتيغا فقال إن تصويت التعليق فرضه الطغاة، وأن منظمة الدول الأميركية لا تزال أداة لهيمنة أميركا، وهدد الفنزويليون والنيكاراغويون معًا: إما الدعوة فورًا للتصويت، وإما الخروج وترك المنظمة.

وبذلك نجحت السياسة الأميركية في تحقيق هدفها وهو الإبقاء على المنظمة متماسكة وتمرير سياستها من خلال المنظمة ؛حيث حصل ما أرادت ونجحت في قلب المعادلة، فبدل أن تكون هي في جانب وبقية دول أميركا اللاتينية في جانب آخر؛ أصبحت هي ومعظم دول أميركا اللاتينية في جانب، وجعلت هندوراس وفنزويلا ونيكاراغوا في جانب آخر حيث أظهرت أن المشكلة تكمن في كوبا وليس في الرغبة الأميركية بعدم رفع التعليق عن عضويتها؛ ونتج عن ذلك إبقاء كوبا خارج المنظمة بدل أن يتم ليّ ذراع أميركا بضم كوبا للمنظمة.

وهكذا تتلاعب أميركا بدول العالم وتقامر بمصير شعوبها حفاظًا على مصلحة أميركا فقط، وهي لا تألو جهدًا في ذلك ولو كان بسفك الدماء، ودعم تجار المخدرات، وإثارة النزاعات المسلحة، وإفقار الشعوب والأمم، ونشر الفوضى والدمار... ولا خلاص لدول أميركا اللاتينية من هذه المآسِي التي جلبتها عليهم رأس الشر أميركا - التي تتزعم النظام الرأسمالي القذر - وبمساعدة الحكومات المجرمة التي تبنت ذلك النظام - سواء في أميركا اللاتينية أم في غيرها - بدل أن تقف في وجه أميركا وتنبذ نظامها العفن. إنه لا خلاص لها وللبشرية جمعاء إلا بقيام دولة الإسلام دولة الخلافة التي تعيد أميركا إلى عقر دارها إن بقي لها عقر دار، وتخلص البشرية من شرورها وسمومها، وتنقذ العالم أجمع من النظام الرأسمالي الذي جلب عليهم الويلات والدمار، وتخلصهم كذلك من الحكومات التي تبنت ذلك النظام وقبلت به نظام حياة، وبالمقابل تحمل لتلك الدول والشعوب المستعبدة والفقيرة البديل الحضاري والمبدئي وهو النظام الإسلامي الذي وضعه خالق البشر لتخليص البشرية من الكفر والجهل والظلم والفقر والجوع وضنك العيش، وليس للسلب والنهب والسرقة والقتل ونشر الخراب والدمار لأجل حفنة قذرة من الرأسماليين وقلة قليلة من الدول الأنانية.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ .■

لماذا استحضر نظام السيسي «برهامي» لمواجهة دعوات التظاهر؟

على خلفية اتهام النظام المصري بالفساد، حذر نائب رئيس الدعوة السلفية ياسر برهامي

على خلفية اتهام النظام المصري بالفساد، حذر نائب رئيس الدعوة السلفية ياسر برهامي

المصريين من الخروج في مظاهرات لمحاولة إسقاط النظام، وأثارت تصريحاته تساؤلات بشأن دور هذه الجماعة ككل في مصر وموقفها من النظام المصري، ومن السيسي بالذات. فقد أصدر برهامي بيانًا مفاجئًا بعنوان «لم ولن نكون دعاة هدم» أعلن فيه أن سقوط النظام هو «سقوط للدولة"، ودعا في البيان إلى «حماية النظام في مصر من الانهيار»، وأكد أن الدعوة السلفية لن تشارك في التظاهرات المرتقبة؛ بدعوى أنها "ملتزمة بالإصلاح التدريجي". وشكك في اتهام النظام، ووصف من يطالبون بتنحية الحاكم بالمنافقين والفاسقين مستشهدًا بالآية القرآنية { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ }... وفي مقابل ذلك، يتُهم ياسر برهامي في مصر بأنه: «مصنوع صناعة أمنية على أكمل وجه؛ وبالتالي يرتبط مصير حزب النور بمصير السيسي الذي صنعه على عينه بعد ثورة ٢٥ يناير... فياسر برهامي يرى في نفسه أنه ياسر السيسي". ومتهم كذلك بأنه «عميل للأجهزة الأمنية، ووصف بأنه كالمرأة الغانية ترتمي في أحضان النظام وقتما يريدها النظام وتخاصمه بأوامره وتجثو على ركبتيها أمامه بأوامره أيضًا... ونظام السيسي يستخدمه كطلاء ديني له». ووصف أيضًا بأنه «مثل منديل الورق يستخدم ثم يلقى فى أقرب سلة قمامة".

الوعي: لقد صدق الرسول في قوله أنه في آخر الزمان يكون علماء سوء، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان، فإذا خالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاحذروهم، واعتزلوهم**». وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من عالم أتى صاحب سلطان طوعًا، إلا كان شريكه في كل لون يعذب به في نار جهنم**».

صحيفة تكشف عن عودة ٢٣٠ عميلًا لـ (إسرائيل) إلى لبنان بجوازات وحماية أميركية

ذكرت صحيفة «الديار» أن الأجهزة الأمنية كشفت أن أكثر من ٢٣٠ عميلًا لـ (إسرائيل) كانوا في صفوف جيش اللواء أنطوان لحد الذي شكله جيش الاحتلال (الإسرائيلي) في جنوب لبنان، عادوا إلى لبنان خلال الـ ٤ أشهر الماضية ودخلوا بجوازات سفر أميركية، وتحدث مواطنون يعرفون هؤلاء الأشخاص عن أنهم يعيشون عند أقارب لهم ولا يتنقلون كثيرًا، وإنما هم على

تواصل مع السفارة الأميركية في بيروت التي زودتهم برقم هاتف للاتصال بها إذا حصل معهم أي حادث كي تتولى معالجة وضع أي شخص منهم على أساس أن هؤلاء العملاء مواطنون أميركيون ولو كانوا من أصل لبناني، وأنه لا يحق للسلطات اللبنانية التعامل مع المواطنين الأميركيين إلا وفق تنسيق قانوني أميركي لبناني، وأن السفارة أبلغت وزارة الخارجية اللبنانية ووزارة العدل أنه إذا تم استعمال القانون اللبناني ضدهم فستفرض عقوبات على لبنان ما لم يأخذ الأخير في عين الاعتبار القانون الأميركي وضرورة تطبيقه عليه أولًا قبل تطبيق القانون الذي هو في البلد المتواجد فيه؛ لأن الموضوع يتعلق بسيادة الولايات المتحدة على مواطنيها. والسفارة الأميركية تنظر اليهم على أنهم لم يرتكبوا أي جريمة على الأراضي اللبنانية كي يتم توقيفهم، وجنسيتهم الأميركية تعطيهم الحصانة. أما صحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية الواسعة الانتشار فكتبت عنوانًا في موقعها الإلكتروني تقول فيه: لقد استطاعت الولايات المتحدة تأمين «التطبيع المدني بين لبنان وإسرائيل» عبر العمل على عودة ٤٨٠٠ مواطن لبناني لجأوا إلى (إسرائيل) على مراحل.

الوعي: هؤلاء كانوا لبنانيين، ثم صاروا عملاء لـ (إسرائيل) ويحملون جنسيتها، والآن هم، وبعد تجنيسهم بالجنسية الأميركية، جواسيس أميركيون بأجندة أميركية، ومحميون من دولتهم، وموجودون في لبنان، وممنوع أن تمد عليهم يد أحد... إنهم جواسيس متعددو الجنسيات... وينتظر أن تحل قضيتهم بعيدًا عن الأضواء، بشكل يتناسب مع مهمتهم الأميركية

صحيفة سودانية: «العسكري» يطلب مغادرة مصريين إسلاميين

كشفت صحيفة الأحداث السودانية أن «المجلس العسكري طلب من منسوبي الجماعات الإسلامية المصرية المقيمين بالمدن السودانية مغادرة السودان». وكان رئيس المجلس العسكري السوداني عبد الفتاح البرهان التقى رئيس نظام الانقلاب المصري عبد الفتاح السيسي في آيار/ مايو الماضي، وأعلن الأخير وقوفه ودعمه لأمن واستقرار السوادن. ويعتبر محللون وخبراء سياسيون أن السودان يمتلك أوراق ضغط، يساوم بها نظام قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي. وتتمثل أبرزها، بحسب الخبراء، في ملف سد النهضة، وملف أعضاء جماعة الإخوان المصريين هناك. ووقع الطرفان اتفاقية لضبط الحدود بين البلدين ومكافحة الإرهاب، فيما قالت مصادر إن البرهان أكد للسيسي أنه لن يبقى على أراضي السودان أي عنصر مطلوب أمنيًا لمصر. هذا ويثار ملف تسليم قيادات جماعة الإخوان المصريين بالسودان للقاهرة في الإعلام المصري كلما التقى مسؤول سوداني مع السيسي، رغم خلو بيانات الرئاسة المصرية من الإشارة إليها. ويعتبر النظام

المصري أنه يمثل رأس الرمح في الثورات المضادة».

الوعي: أميركا لم تمكن للثورة في السودان، بل زرعت إلى جانبها ثورة مضادة تمثلت بالمجلس العسكري، تعمل من خلاله على نقل السلطة من يدها اليمنى إلى اليسرى؛ لذلك تجمعت بسهولة وبسرعةكل الدول المضادة للثورات: مصر والسعودية والإمارات من جهة... تركيا وقطر من جهة أخرى. ومشكلة الإخوان أنهم يدخلون في هذا الاصطفاف إذ إنهم محسوبون على تركيا وقطر. وخلاصهم أن يكونوا مع دينهم فقط، وأن يستمدوا قوتهم من أمتهم فقط، وتبتعد عن كل الأنظمة الحاكمة.

المبعوث الأميركي إلى إيران يخشى تحول «هلال القوة الإيراني» إلى «بدر"

قال المبعوث الأميركي الخاص لشؤون إيران براين هوك، إن «علينا أن نكون جديين حيال طموح إيران لإرساء «هلال قوة إيراني»، وإلا سيصبح الهلال قمرًا كاملًا». وأضاف هوك في حديث لموقع «ليبانون فايلز» اللبناني، أن إيران «تأخذ نموذج «حزب الله» الذي بدأت بوضعه في بداية الثمانينات وتحاول تصديره إلى المنطقة، وأحدث مثال على ذلك هو الحوثيون في اليمن»، مشيرًا إلى أن «إيران تستخدم الحوثيين بالطريقة ذاتها التي تستخدم فيها «حزب الله» في لبنان، وأن "الولايات المتحدة كشفت مؤخرًا للمرة الأولى أن عملاء لـ»حزب الله» ينشطون في اليمن" واعتبر هوك أن اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا العام كانت أصعب من السنوات الماضية بالنسبة للرئيس الإيراني حسن روحاني ووزير خارجيته محمد جواد ظريف، وأن إيران تجد أن التعاطف معها يتبخر. وأضاف:»هذا تطور طال انتظاره، ويعني أن ضغوطنا تعمل، والهجمات على السعودية هي أحد الأسباب لابتعاد العالم عن إيران" وتابع: «لدى لبنان قوتان عسكريتان داخل دولة واحدة» في إشارة إلى «حزب الله"، مشددًا على «ضرورة أن يحتكر الجيش اللبناني «استخدام القوة» في لبنان.

الوعي: لقد بات السياسيون عامة يدركون أن إيران دولة تسير ضمن أجندة أميركية في المنطقة، ولا يحتاج الأمر إلى كبير عناء لكشفه، فهي مكنت أميركا من احتلال أفغانستان وذلك باعتراف عدد من المسؤولين الإيرانيين ومنهم رفسنجاني، وإيران مكنت أميركا من احتلال العراق، ومن ثم مكنت أميركا لإيران من الهيمنة على العراق، وإيران وقفت إلى جانب النظام السوري العميل لأميركا ومنعت من سقوطه، وفي لبنان (حزب الله) وفي اليمن (الحوثيون) تعتبر أذرعًا لها... لذلك فإن ما يصرح به هذا المسؤول الأميركي بأنه من المتوقع أن يصبح الهلال الشيعي قمرًا كاملًا، فهو سياسة أميركية وليس سياسة إيرانية فقط.

زيادة كبيرة في معدل انتحار جنود الجيش الأميركي

خلص تقرير أصدرته وزارة الدفاع الأميركية مؤخرًا إلى أن معدل انتحار جنود الجيش الأميركي أثناء الخدمة زاد بشكل كبير خلال السنوات الخمس الماضية. وقال أول تقرير سنوي للبنتاغون عن الانتحار إن معدل انتحار الجنود في الخدمة بلغ ٢٤,٨ لكل ١٠٠ ألف، بعدما كان نحو ٢٠ لكل ١٠٠ ألف في ٢٠١٣. وقال التقرير إن ٥٤١ جنديًا انتحروا في عام ٢٠١٨. وقالت إليزابيث فان وينكل المسؤولة عن هذا الملف بالبنتاغون «نحن لا نسير في الاتجاه الصحيح». ولم يتمكن القادة العسكريون من تقديم أي شرح منطقي لأسباب تضاعف حالات الانتحار التي تسري بين جنود القوات العاملة في قيادة العمليات الخاصة، وهي تشمل البحرية وسلاح الجو والقوات الأرضية. وأشارت «سي أن أن» إلى أن حالات الانتحار هذه غير مرتبطة بظروف الحروب، بل باستهلاك المخدرات وتجارب الحياة الخاصة للجنود، ومنها الإفلاس المالي.

الوعي: إن هذه الظاهرة المستفحلة في أميركا، مع ظاهرة إطلاق النار العشوائي الذي يحصد المئات من الأميركيين كل سنة... يشير بوضوح إلى الفراغ الروحي والخواء النفسي، والتفكك الاجتماعي في مجتمع يعتبر أنه يمثل الحضارة الغربية، فهذا يشير إلى إفلاس هذه الحضارة، وأهلها هم أول ضحاياها.

المغرب: محاكمة «شبكة تجنيس الإسرائيليين» بوثائق مزورة

قررت محكمة مغربية من الدرجة الأولى في الدار البيضاء تأجيل جلسة محاكمة «شبكة تجنيس الإسرائيليين بالجنسية المغربية عن طريق التزوير»، إلى ١٠ تشرين الأول/ أكتوبر المقبل، من أجل إكمال باقي الدفوعات الشكلية وللاستماع إلى تعقيب النيابة العامة، ومثل أمام القاضي علي الطرشي، رئيس هيئة المحاكمة، خلال جلسة عقدت في الغرفة الابتدائية بمحكمة الاستئناف بالدار البيضاء، المتهمون الذين يصل عددهم إلى أكثر من ٢٠ متهمًا، منهم مغربي يعتنق الديانة اليهودية وثلاثة عناصر شرطة وعون سلطة وموظف بملحقة إدارية. وقالت الشرطة في وقت سابق إن شبكة تم تفكيكها تقوم بتزوير عقود الازدياد (شهادات ميلاد) لفائدة مواطنين يحملون الجنسية)الإسرائيلية(من أصول غير مغربية، وقالت أوساط مغربية إن هذه الشبكة تأتي في إطار هجمة)إسرائيلية(للتطبيع مع المغرب.

الوعي: إن عمليات تجنيس يهود بجنسيات عربية مختلفة وبشكل فيه تزوير هي عملية خطيرة جدًا، وتخفي وراءها زرع جواسيس لهم في مختلف طبقات المجتمع ليكون منهم السياسي والإعلامي والاقتصادي والحاكم... المدعومون من دوائر الصهيونية العالمية، كما هو

الواقع اليوم؛ لذلك يجب الحذر كل الحذر من ذلك من أجل مستقبل نظيف للأمة.

نيويورك تايمز: سعد الحريري أهدى عارضة أزياء ١٦ مليون دولار

نشرت صحيفة نيويورك تايمز الأميركية، وثائق من محكمة في جنوب أفريقيا، تُفيد أن رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري، أرسل ١٦ مليون دولار أميركي عام ٢٠١٣م لعارضة أزياء من جنوب أفريقيا بعدما حظيا بعلاقة رومانسية. وأشارت إلى أن سعد الحريري التقى بكانديس فان في منتجع فاخر بجزيرة سيشيل. وعن سبب كشف هذا الخبر، ذكرت هذه الصحيفة أن متوسط الدخل السنوي لعارضة الأزياء؛ حيث لم يتخطَّ ٥٤٠٠ دولار سنويًا؛ إلا أن حسابها في شهر مايو ٢٠١٣م زاد ١٥ مليون دولار و٢٠٠ ألف دولار بعد تحويلهم من بنك لبناني بعدما أهداها سيارتي أودي R٨ ولاند روفر إيفوك بقيمة ٢٥٠ ألف دولار؛ حيث أبلغته أن سيارتها تمت سرقتها، بحسب ما أوردت نيويورك تايمز. وهذا الأمر دفع السلطات المالية والضريبية في جنوب أفريقيا؛ للتحقيق مع العارضة في الزيادة التي طرأت على حسابها؛ حيث أوضحت كانديس فان دير ميروي، أن المبلغ المالي هدية وليس خاضعًا للضريبة وفقًا لقانون جنوب أفريقيا. هذه الزيادة في حسابها عرضتها لأزمات مالية مع الجهات المعنية في بلادها قبل أن تتوصل لتسوية عام ٢٠١٦م؛ حيث حركت دعوى قضائية ضد الحكومة في بلادها مطالبة بتعويض ٦٥ مليون دولار للأضرار التي تعرضت لها؛ حيث اضطرت لبيع منزلها بسبب تجميد الأصول، وهو الأمر الذي دفع سعد الحريري، حسبما أوردت الصحيفة الأميركية، لتحويل مليون دولار أخرى لها لتغطية الإجراءات القضائية.

الوعي: إذا كان هذا الخبر يعد فضيحة على المستوى السياسي في لبنان، فماذا يعد هذا في الشرع؟!، وما حكم الشرع فيه؟!... هذا، والمستور أعظم.

قال الله تعالى

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾.

جاء في كتاب التيسير في أصول التفسير لمؤلفه
عطاء بن خليل أبو الرشته
أمير حزب التحرير حفظه الله في تفسيره لهذه الآيات ما يلي:

لا زالت الآيات في سياق الإنفاق، فبعد أن بيَّن الله سبحانه أن الإنفاق في سبيل الله يجب أن يكون بدون منٍّ ولا أذًى وإلا كان ذلك الإنفاق غير مقبول عند الله سبحانه.

١. بعد ذلك يبين الله سبحانه في هذه الآية الكريمة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ أن تكون النفقة من الطيب وليس من الخبيث.

ففي الآية الكريمة نهي عن أن يعمد المرء للخبيث من ماله فينفق منه، وهذا النهي جازم بقرينة ما في الآية التالية﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ومفهوم هذا المنطوق بدلالة الإشارة يفيد أن الذي يعمد للخبيث من ماله فينفق منه يكون متبعًا لأمر الشيطان، وهي قرينة على الجزم، أي أن النهي المذكور للتحريم؛ وحيث إنَّ النفقة من الخبيث حرام، فهو يعني أن الآية المذكورة هي النفقة الواجبة – الزكاة، ومنه النفقة في سبيل الله أي الجهاد، وأي نفقة وجبت على امرئ - فهي التي يحرم أداؤها من الرديء من المال.

عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في الآية التي قال الله فيها ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ قال: هو الجعرور ولون حبيق: "**فنهى رسول الله ﷺ أن يؤخذا في الصدقة**"[1] أي في زكاة التمر، وهما نوعان رديئان من التمر.

عن عبيدة السلمان قال: سألت عليًا عن قول الله ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا

١ النسائي: ٢٤٤٦، أبو داوود: ١٣٦٩، الموطأ: ٥٣٧

﴿ كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ قال: فقال علي: نزلت هذه الآية في الزكاة المفروضة، كان الرجل يعمد إلى التمر فيصرمه فيعزل الجيد ناحية، فإذا جاء صاحب الصدقة - أي الذي يجمع الزكاة - أعطاه من الرديء فأنزل الله سبحانه ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾.

أما صدقة التطوع، فإنه وإن كان الأفضل أن يتطوع المرء بالجيد من ماله من التمر ولا يتطوع بالرديء من ماله أو القليل منه، إلا أنه لا يمكننا القول بأنه آثم في تطوعه هذا، وذلك لأنه ليس واجبًا عليه وإن كان في قبول الله له نظر؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا الطيب؛ ولذلك فالآية في تقاضي الحق الواجب على المرء فيجب أن يكون من الجيد، ولهذا ضرب الله لهم مثلًا في تقاضي حقوقهم، فلو كان لأحدهم حق على آخر فلا يتقاضاه بالرديء ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ ﴾ فهم لا يأخذون الرديء في قضاء حقهم إلا أن لا يروا ذلك العيب والرداءة. وفي ذلك إنكار وتوبيخ لفعلهم في أداء الزكاة من الرديء في الوقت الذي لا يرضون هم تقاضي حقوقهم من الرديء، فكيف يرضون لله ما لا يرضون لأنفسهم؟!

ثم يختم الله سبحانه الآية بأنه الغني عنهم، الذي لا ينتفع بصدقاتهم، بل يجزيهم عليها: مثوبةً إن كانت خيرًا، وعقوبةً إن كانت شرًا ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ثم إنه سبحانه المستحق للحمد من خلقه على نعمه عليهم، وليس من حمد الله على نعمه أن يؤدي حقه سبحانه من الرديء من أموالهم التي رزقهم الله إياها ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ هو خطاب للمؤمنين بزكاة أموالهم من الجيد منها.

﴿ أَنفِقُواْ ﴾ زكوا.

﴿ طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ الجيد من كسبكم.

﴿كَسَبْتُمْ ﴾أي حصلتم عليه في المعاملات كالبيع والشراء والإجارة والتجارة والشركات والإرث والهبة والوصية وأمثالها، أي زكُّوا ذلك، وهو يشمل زكاة (**عروض التجارة والنقدين والأنعام**).

﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ ويشمل زكاة الزروع والثمار المذكورة في الحديث: "**التمر والزبيب والقمح والشعير**" وكلّ ذلك بنصابه وشروطه.

﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ أي لا تعمدوا للرديء من أموالكم فتخرجوا منه الصدقة أي الزكاة.

و﴿ ٱلْخَبِيثَ ﴾ هنا ليس الحرام بل الرديء من المال؛ لأن الخطاب للمؤمنين بإخراج الزكاة من الجيد وليس من الرديء بقرينة ﴿ مَا كَسَبْتُمْ ﴾ و﴿ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ ﴾ وكسب المؤمن لا يكون حرامًا؛ لأن اقترانه بخطاب ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وصف مفهم على حل كسبه.

وهكذا ﴿ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾فإسناده لله سبحانه يفيد حلال أصله. والمعنى أن الله سبحانه يأمر المؤمنين أن يزكوا أموالهم من الجيد منها وليس أن يعمدوا للرديء فيخرجوه زكاة أموالهم.

﴿ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾.

﴿ تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾إما من أغمض الرجل في أمر كذا أي: تساهل فيه ورضي ببعض حقه وتجاوز. أو من تغميض العين كناية عن عدم الرؤية. والأرجح أنها من تغميض العين؛ ذلك لأن الآية في سياق (أن الله لا يقبل قضاء حقه من الرديء من المال في جميع الأحوال لأنها متعلقة بالزكاة، كما لا يقبلون هم قضاء حقهم من الرديء من المال إلا أن يغمضوا فيه) وحتى يصحّ التشبيه وتكون الزكاة غير مقبولة بحال من الرديء من المال فإن هذا يعني أن الاستثناء لا يقع بالنسبة لله سبحانه.

فلو كان المقصود بـ﴿ تُغۡمِضُواْ ﴾ التساهل والتجاوز أي أن الله لا يقبل هذه الزكاة من الرديء كما لا تقبلون أنتم إلا إذا تساهلتم وتجاوزتم، فمعنى ذلك أن الله لا يقبل هـذه الزكاة إلا إذا تسـاهـل وتجاوز أي عفا وهذه ممكنة، وبالتالي تفيد احتمال قبول الزكاة من الرديء إذا تسـاهـل الله سـبحـانه بالنسبة لعبده، وهذا ليس المقصود من الآية، فهي تعني أن الزكاة بالرديء لا يقبلها الله.

وبالتالي يكون ﴿ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾ أي أن لا تروه ولا تعلموا العيب فيه؛ ولأن الله سبحانه منزه عن عدم العلم بحقيقة الأمر، أي أن هذا الاستثناء غير واقع بالنسبة لله سبحانه، ويكون المعنى في هذه الحالة:

إن الله سبحانه لا يقبل الزكاة من الرديء من المال كما لا تقبلون أنتم قضاء حقكم من الرديء إلا أن لا تروا هذا العيب، ولأن الله سبحانه يرى كلّ شيء. فالاستثناء هنا غير وارد بالنسبة لله سبحانه، أي أن الله لا يقبل الزكاة من الرديء بحال من الأحوال.

٢. يبين الله سبحانه في الآية التالية أن الشيطان يخوف أولياءه دائمًا بالفقر، ويوسوس إليهم أن لا ينفقوا من أموالهم فلا يزكوها، وإن اضطروا لذلك فمن الرديء من المال حتى لا يتعرضوا للفقر؛ فيزين لهم السوء وعصيان الله للمحافظة على دنياهم، وتكون النتيجة تعرضهم لعقاب الله سبحانه، فيكون وعد الشيطان لهم مَهلكة ﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾.

ذلك وعد الشيطان: الفقر والفحشاء.

أما الله سبحانه فيعدهم مغفرةً منه وفضلًا. ولم يقل سبحانه: يعدكم غنى في مقابل وعد الشيطان (الفقر) ليشمل وعد الله الفوز في الدارين، فهو وعد بالخير في الدنيا والآخرة، الرزق الحلال الطيب والمغفرة عن الذنوب والخطايا، أي وعد بخير الدارين.

ويختم الله سبحانه الآية بأنه واسع العطاء واسع المغفرة عليم بمن يستحق مثوبته ومن يستحق عقوبته ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ أي يخوفكم بالفقر إن أنفقتم، وهو استئناف لبيان سبب الخبيث في الإنفاق الوارد في الآية السابقة.

﴿ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ أي الفعلة الفحشاء كالبخل وترك الصدقات، وتشمل كذلك المعاصي كلها كالزنا والإنفاق في الحرام والربا وغيرها.

﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ أي فوزًا في الدارين، مغفرةً عن الذنوب ورضوانًا من الله في الآخرة، ورزقًا حسنًا وسترًا في الدنيا، ولنعم أجر العاملين. (الوعد) في كلام العرب إذا أُطلق فهو في الخير، وإذا قُيِّد فحسب القيد، فقد يكون في الخير أو في الشر كلفظ (البشارة). فهذه الآية فيها تقييد الوعد في الوجهين:

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ﴾ أي في الشر.

﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم ﴾ أي في الخير.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن للشيطان لَمَّةً بابن آدم وللمَلَكِ لَمَّةً، فأما لَمَّةُ الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لَمَّة الْمَلَك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، ثم قرأ:** ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾.

و(اللمّة) بالفتح الهَمَّة والخطرة تقع في القلب، أراد إلمام الملَك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطرات الخير فهو من الملَك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان.

٣. يبين الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن الحكمة نعمة كبرى من نعم الله سبحانه يؤتيها من يشاء من عباده، وهي الإصابة في القول والعمل والإتقان فيه مع التدبر والتفكر، ومن آتاه الله ذلك عرف خالقه والتزم شرعه ونال بذلك خيرًا كثيرًا.

وذكر هذه الآية بعد الآية السابقة وبخاصة قوله تعالى ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِ ﴾ فيه دلالة على أن أولئك المنفقين من الرديء من مالهم في سبيل الله هم خلو من الحكمة، ولو كانت لديهم لأدركوا أن ما لا يرضونه لأنفسهم فعلى الوجوب أن لا يرضَوه لخالقهم، فما داموا لا يقبلون إلا الطيب في قضاء حقهم، فإنه من باب أولى أن يدركوا - لو كانت عندهم حكمة - أن الله لا يقبل إلا الطيب في قضاء حقه كذلك.

ثم يختم الله سبحانه الآية بأن الذين ينتفعون بآيات الله هم أولئك الذين يعقلون، أصحاب الألباب الذين يتذكرون والذين يعتبرون ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾.

حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن رسول الله ﷺ وقول الله عز وجل فيه

عَنْ عبْدِ اللَّهِ بنِ كَعْبِ بنِ مَالِكٍ، وكانَ قائِدَ كَعْبٍ ﷺ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بنَ مَالِكٍ رضِي الله عنه يُحَدِّثُ بِحدِيثِهِ حِين تخَلَّف عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ، في غزوةِ تبُوكَ. قَال كَعْبٌ: لمْ أَتخلَّفْ عَنْ رسولِ الله ﷺ، في غَزْوَةٍ غَزَاها قط إلاَّ في غزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْر أَنِّي قدْ تخلَّفْتُ في غَزْوةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعَاتَبْ أَحد تَخلَّف عنْهُ، إِنَّما خَرَجَ رسولُ الله ﷺ والمسْلِمُونَ يُرِيُدونَ عِيرَ قُرَيْش حتَّى جَمعَ الله تعالَى بيْنهُم وبيْن عَدُوِّهِمْ عَلَى غيْرِ ميعادٍ. وَلَقَدْ شهدْتُ مَعَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليْلَةَ العَقبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلامِ، ومَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشهَدَ بَدْرٍ، وإِن كَانتْ بدْرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ مِنهَا، وكانَ مِنْ خَبَري حِينَ تخلَّفْتُ عَنْ رسولِ اللهِ ﷺ في غَزْوَةِ تبُوك أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخلَّفْتُ عَنْهُ في تِلْكَ الْغَزْوَة، واللَّهِ ما جَمعْتُ قبْلها رَاحِلتيْنِ قطُّ حتَّى جَمَعْتُهُما في تِلْكَ الْغَزوَةِ، ولَمْ يكُن رسولُ الله ﷺ يُرِيدُ غَزْوةً إلاَّ ورَّى بغَيْرِهَا حتَّى كَانَتْ تِلكَ الْغَزْوةُ، فغزَاها رسولُ الله ﷺ في حَرٍّ شَديدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا. وَاسْتَقْبَلَ عَددًا كَثيرًا، فجَلَّى للْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ ليَتَأَهَّبوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمُ الَّذي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُون مَع رسولِ الله كثِيرٌ وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ» يُرِيدُ بذلكَ الدِّيَوان» قَالَ كَعْبٌ: فقلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إلاَّ ظَنَّ أَنَّ ذلكَ سَيَخْفى بِهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ فيهِ وَحْيٌ مِن اللَّهِ، وغَزَا رَسُول الله ﷺ تلكَ الغزوةَ حِينَ طَابت الثِّمَارُ والظِّلالُ، فَأَنا إِلَيْهَا أَصْعرُ، فتجهَّز رسولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُون معهُ، وطفِقْت أَغدو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ معهُ فأَرْجعُ ولمْ أَقْضِ شَيْئًا، وأَقُولُ في نَفْسى: أَنا قَادِرٌ علَى ذلِكَ إِذا أَرَدْتُ، فلمْ يَزلْ يَتَمادى بي حتَّى اسْتمَرَّ بالنَّاسِ الْجِدُّ، فأَصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غَاديًا والْمُسْلِمُونَ معَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازي شيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَم أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يزَلْ يَتمادَى بِي حَتَّى أَسْرعُوا وتَفَارَط الْغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِل فأَدْركَهُمْ، فَيَاليْتَني فَعلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذلِكَ لي، فَطفقتُ إِذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْد خُرُوجِ رسُول اللهِ ﷺ يُحْزُنُنِي أَنِّي لا أَرَى لِي أُسْوَةً، إلاَّ رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْه في النِّفاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ تعالَى مِن الضُّعَفَاءِ، ولَمْ يَذكُرني رَسُولُ اللهِ ﷺ حتَّى بَلَغ تَبُوكَ، فقالَ وَهُوَ جَالِسٌ في القوْمِ بتَبُوك: ما فَعَلَ كعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟ فقالَ رَجُلٌ من بَنِي سلمِة: يا رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظرُ في عِطْفيْه. فَقال لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: بِئس مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عليْهِ إلاَّ خَيْرًا، فَسكَت رَسُولُ اللهِ ﷺ. فبَيْنَا هُوَ علَى ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فقالَ

رسولُ اللهِ ﷺ: كُنْ أَبَا خَيْثمَةَ، فَإِذا هوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْر حِيْنَ لمَزَهُ المنافقون. قَالَ كَعْبٌ: فَلَّما بَلَغني أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ توَجَّهَ قَافلًا منْ تَبُوكَ حَضَرَني بَثِّي، فطفقتُ أَتذكَّرُ الكذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخطه غَدًا؟ وَأَسْتَعينُ عَلَى ذلكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قدْ أَظِلَّ قَادِمًا زاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفتُ أَنِّي لم أَنج مِنْهُ بِشَيءٍ أَبَدًا ذَلك. جَاءَهُ الْمُخلَّفُونَ يعْتذرُون إِليْه وَيَحْلفُون لَهُ، وَكَانُوا بِضْعًا وثمَانين رَجُلًا فَقَبِلَ منْهُمْ عَلانيَتهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتغفَر لهُمْ وَوَكَلَ سَرَائرَهُمْ إِلى الله تعَالى حتَّى جئْتُ، فلمَّا سَلَّمْتُ تبسَّم تبَسُّم الْمُغْضب ثمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**» فجئتُ أَمْشي حَتى جَلَسْتُ بيْن يَدَيْه، فقالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَك؟**»، قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي واللَّهِ لَوْ جلسْتُ عنْد غيْرِك منْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَني سَأَخْرُج منْ سَخَطه بعُذْرٍ، لقدْ أُعْطيتُ جَدَلًا؛ وَلَكنَّني وَاللَّه لقدْ عَلمْتُ لَئن حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذبٍ ترْضى به عنِّي لَيُوشكَنَّ اللَّهُ يُسْخطك عليَّ، وإِنْ حَدَّثْتُكَ حَديثَ صدْقٍ تجدُ علَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيه عُقْبَى الله سبحانه، واللَّه ما كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، واللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلا أَيْسر مِنِّي حِينَ تَخلفْتُ عَنك. قَالَ: فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَمَّا هذَا فقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضيَ اللَّهُ فيكَ**»، وسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلمة فاتَّبعُوني، فقالُوا لِي: واللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذنْبتَ ذَنْبًا قبْل هذَا، لقَدْ عَجزتَ في أَنْ لا تَكُون اعتذَرْت إِلَى رَسُول الله ﷺ بمَا اعْتَذَرَ إِلَيهِ الْمُخَلَّفُون، فقَدْ كَانَ كافِيَكَ ذنْبكَ اسْتِغفارُ رَسُول الله ﷺ لَك. قَالَ: فَواللهِ ما زَالُوا يُؤنِّبُونني حتَّى أَرَدْت أَنْ أَرْجِعَ إِلى رسولِ الله ﷺ فأَكْذِب نفسْي، ثُمَّ قُلتُ لهُم: هَلْ لَقِيَ هَذا معِي مِنْ أَحدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لقِيَهُ مَعَكَ رَجُلان قَالا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقيلَ لَهمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لكَ، قَال قُلْتُ: مَن هُمَا؟ قالُوا: مُرارةُ بْنُ الرَّبيع الْعَمْرِيُّ، وهِلال ابْن أُميَّةَ الْوَاقِفِيُّ؟ قَالَ: فَذكَروا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْن قدْ شَهِدا بدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ. قَالَ: فَمَضيْت حِينَ ذكَروهُمَا لِي. وَنهَى رَسُول الله ﷺ عَنْ كَلامِنَا أَيُّهَا الثلاثَةُ مِن بَين من تَخَلَّف عَنهُ، قالَ: فاجْتَنبَنا النَّاسُ أَوْ قَالَ تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنكَّرت لِي في نَفْسي الأَرْضُ، فَمَا هيَ بالأَرْضِ الَّتي أَعْرِفُ، فَلَبثْنَا عَلَى ذَلكَ خمْسِينَ ليْلَةً. فأَمَّا صَاحبايَ فَاستَكَانَا وَقَعَدَا في بُيُوتهمَا يَبْكيَانِ، وأَمَّا أَنَا فَكُنتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنتُ أَخْرُج فَأَشهَدُ الصَّلاة مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ في الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُني أَحدٌ، وآتِي رسولَ الله ﷺ فأُسَلِّمُ عَلَيْهِ، وَهُو في مجْلِسِهِ بعدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ في نفسِي: هَل حَرَّكَ شفتَيهِ بردِّ السَّلامِ أَم لاَ؟ ثُمَّ أُصلِّي قَريبًا مِنهُ وأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقبَلتُ عَلَى صلاتِي نَظر إِلَيَّ، وإِذَا الْتَفتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتى إِذا طَال ذلكَ عَلَيَّ مِن جَفْوَةِ الْمُسْلمينَ مشَيْت حَتَّى تَسوَّرْت جدارَ حَائط أبي قَتَادَةَ وَهُوَا ابْن عَمِّي وأَحبُّ النَّاسَ إِلَيَّ، فَسلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَواللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْت لَه: يَا أَبَا قتادَة، أَنْشُدكَ باللَّه، هَلْ تَعْلَمُني أُحبُّ الله وَرَسُولَه صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم؟ فَسَكَتَ، فَعُدت فَنَاشَدتُه فَسكَتَ، فَعُدْت فَنَاشَدْته فَقَالَ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرتُ الْجدَارَ، فبَيْنَا أَنَا أَمْشي في سُوقِ المدينةِ إِذَا نَبَطيٌّ منْ نبطِ

أَهْلِ الشَّام مِمَّنْ قَدِمَ بالطَّعَامِ يبيعُهُ بالمدينةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كعْبِ بْنِ مَالكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَني فَدَفَعَ إِليَّ كتَابًا منْ مَلِكِ غَسَّانَ، وكُنْتُ كَاتِبًا. فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بلَغَنَا أَن صاحِبَكَ قدْ جَفاكَ، ولمْ يجْعلْك اللَّهُ بدَارِ هَوَانٍ وَلا مَضْيعَةٍ، فَالْحقْ بِنا نُوَاسِك، فَقلْت حِين قرأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّور فَسَجرْتُهَا. حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُون مِن الْخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثِ الْوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ الله ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتزِلَ امْرأَتَكَ، فقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذا أَفعلُ؟ قَالَ: لاَ بَلْ اعتزِلْهَا فَلاَ تقربَنَّهَا، وَأَرْسلَ إِلى صَاحِبيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ. فَقُلْتُ لامْرَأَتِي: الْحقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ في هذَا الأَمر، فَجَاءَت امْرأَةُ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ الله ﷺ فقالتْ لَهُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ هِلالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائعٌ لَيْسَ لَهُ خادِمٌ، فهلْ تَكْرهُ أَنْ أَخْدُمهُ؟ قَالَ: "**لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْربَنَّك**» فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّه مَا بِهِ مِنْ حَركةٍ إِلَى شَيءٍ، وَوَاللَّهَ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَال لِي بعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتأْذنْتَ رسولَ اللهِ ﷺ في امْرأَتِك، فقَدْ أَذن لامْرأَةِ هِلالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فقُلْتُ: لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رسولَ الله ﷺ، ومَا يُدْريني مَاذا يَقُولُ رسولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فلَبِثْتُ بِذلك عشْر ليالٍ، فَكَمُلَ لَنا خمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حينَ نُهي عَنْ كَلامنا. ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صباحَ خمْسينَ لَيْلَةً عَلَى ظهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبينَا أَنَا جَالسٌ عَلَى الْحال الَّتي ذكَر اللَّهُ تعالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرضُ بمَا رَحُبَتْ، سَمعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أوفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فخرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، فَآذَنَ رسولُ الله ﷺ النَّاس بِتوْبَةِ الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِين صَلَّى صَلاة الْفجْرِ، فذهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُوننا، فذهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِليَّ فرَسًا وَسَعَى ساعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى عَلَى الْجَبلِ، وكَان الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فلمَّا جَاءَنِي الَّذي سمِعْتُ صوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ ببشارَته، واللَّه مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يوْمَئذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبسْتُهُمَا، وانْطَلَقتُ أَتَأَمَّمُ رسولَ الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونني بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُون لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ، حتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رسولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ طلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِالله رضي الله عنه يُهَرْوِل حَتَّى صَافَحَنِي وهَنَّأَنِي، واللَّه مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَان كَعْبٌ لاَ يَنْساهَا لِطَلحَة .

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: وَهوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُور «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ، مُذْ ولَدَتْكَ أُمُّكَ**» فقُلْتُ: أمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول اللَّه أَم مِنْ عِنْد الله؟ قَالَ: «**لا، بَلْ مِنْ عِنْد الله تعالى**»، وكانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنارَ وَجْهُهُ حتَّى كَأَنَّ وجْهَهُ قِطْعَةُ قَمر، وكُنَّا نعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ، فلَمَّا جلَسْتُ بَيْنَ يدَيْهِ قُلتُ: يَا رسولَ اللَّه إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِن مَالي صدَقَةً إِلَى اللَّهِ وإِلَى رَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْر لَكَ**»، "فَقُلْتُ إِنِّي

أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذي بِخيْبَر. وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إن الله تَعَالَى إِنَّما أَنْجَانِي بالصِّدْقِ، وَإِنْ مِنْ تَوْبَتي أَن لا أُحدِّثَ إلاَّ صِدْقًا ما بَقِيتُ، فواللهِ مَا علِمْتُ أَحَدًا مِنَ المسلمِين أَبْلاهُ اللَّهُ تَعَالَى في صدْقِ الْحَديث مُنذُ ذَكَرْتُ ذَلكَ لرسُولِ الله ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي اللَّهُ تَعَالَى، وَاللَّهِ مَا تَعمّدْت كِذْبَةً مُنْذُ قُلْت ذَلِكَ لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفظني اللَّهُ تَعَالى فِيمَا بَقِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾. قالَ كعْبٌ: واللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدانِي اللَّهُ لِلإِسْلام أَعْظَمَ في نَفسِي مِنْ صِدْقي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَن لاَّ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فأهلكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا. إن الله تَعَالَى قَالَ للَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأحدٍ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾. قَالَ كَعْبٌ: كنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ حَلَفوا لَهُ، فبايعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وأَرْجَأَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنا حَتَّى قَضَى اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ بِذَلِكَ، قَالَ اللَّه تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وليْسَ الَّذي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفنا تَخَلُّفُنا عَن الغَزْو، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفهُ إِيَّانَا وإرجاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عليه.".

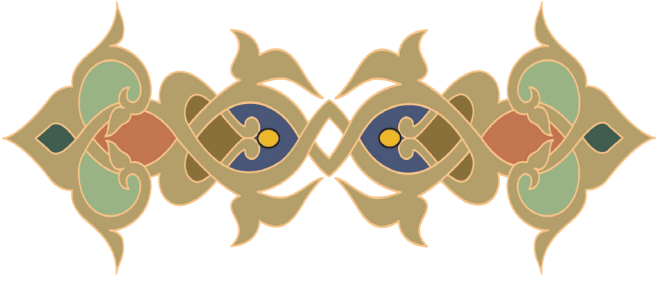

وجّه الصادق المهدي، زعيم طائفة الأنصار في السودان، ومن بعده نصر الدين مفرح، وزير الشؤون الدينية الجديد، الذي قال في تصريحات صحافية أخيرًا، إنّ السودان بلد متعدد في كلّ شيء بما في ذلك التعدد الديني، وذكر الوزير أنّ الأقلية اليهودية فارقت البلاد منذ سنوات، داعيًا أبناءها إلى العودة والحصول على الجنسية والمواطنة بعد قيام الدولة المدنية التي ستصبح فيها المواطنة أساس الحقوق والواجبات. وأضاف الوزير أنّ قضية التسامح الديني بين المذاهب الفكرية والمجموعات المختلفة قضية مهمة ستبقى من أولويات الحكومة الجديدة. من جهته، رد مبارك أردول، وهو متحدث رسمي سابق في الحركة الشعبية، على دعوة اليهود للعودة إلى البلاد برسالة مفتوحة للوزير، جاء فيها أنّ إرساء قيم التسامح لن تتم إلا بردّ المظالم وإرجاع الممتلكات التي اقتلعتها أجهزة قمع النظام السابق من عدد من الطوائف الدينية، مشددًا على ضرورة تسليم تلك الممتلكات والمقرات لأهلها بما في ذلك دور العبادة. ويقدّر عدد يهود السودان في أزمنة سابقة بنحو ألفي شخص عاشوا في الخرطوم ومدني وبورتسودان ومروي ومدن سودانية أخرى، ويذكر أن هناك أسرًا ما زالت موجودة، لكنّها دخلت إلى الإسلام (نفاقًا) وهم كانوا في أيام الحكم التركي المصري، وبعد انتصار الثورة المهدية سنة ١٨٩٩م هاجروا إلى مصر، ثم عادوا مع الجيش الإنكليزي، وبقوا في السودان، لكنّ بعضًا منهم غادر بعد حرب فلسطين ١٩٤٨م، وبعضًا آخر بعد حرب ١٩٦٧م؛ بسبب تغير نظرة المجتمع إليهم فبدؤوا هجرة عكسية إلى دول عديدة، منها الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والأراضي الفلسطينية المحتلة. حتى لم يبقَ منهم غير القليل القليل ممن بدّلوا ديانتهم ظاهرًا لا حقيقة. ومن الأسر اليهودية التي تحمل الجنسية السودانية: آل إسرائيل من الأسر التي استوطنت الخرطوم، ومن بناتهم ليلي إسحق إسرائيل التي عملت سكرتيرة الرئيس نميري، ومنهم دكتور منصور إسحق إسرائيل الذي يمتلك صيدلية في شارع العرضة بأم درمان. ويعتز بنسبه لأسرة يهودية هاجرت منذ سنوات بعيدة إلى السودان، كما يعتز بأنّه مواطن سوداني يخلص لوطنه ولدينه الإسلام، وآل قرنفلي ارتبطوا بمدينة بور تسودان، وآل منديل، وآل مراد بسيسي في مدينة بربر، وآل المليح زابت في كسلا، وآل عدس في مدينة ود مدني وهو من اليهود السوريين، وآل سلمون ملكا وهو حاخام من يهود المغرب استقدمه يهود السودان من أجل إقامة الصلوات، وآل قاوون منهم نسيم قاوون الذي أسهم بشكل كبير في افتتاح كنيس الخرطوم، وآل باروخ وهم من يهود المغرب، وآل دويك وهم من يهود سوريا المتشددين، وآل تمام سكنوا في أم درمان والخرطوم، وآل كوهين استقروا في الخرطوم، آل ساسون عاشوا في كردفان، ومن أبنائهم أول سفير لـ (إسرائيل) في مصر. وآل عبودي، وآل حكيم...

الوعي: انظروا كيف يتسابق السياسيون في بلاد المسلمين إلى مثل هذه الدعوات استرضاء لجهات دوليّة. ويجب الحذر من أمثال هؤلاء حتى لو أشهروا إسلامهم وما مصطفى كمال عنا ببعيد، والمطلوب هو إحصاؤهم وعدم السماح لهم بالنفوذ بين المسلمين. وإن أول ما على الدولة الإسلامية أن تقوم به هو معرفة مدى تغلغلهم في بلاد المسلمين.

السيسي حجر شطرنج أميركي في منطقة يعاد صياغتها

في العام الماضي، وفي ٢٠١٨/٠٩/٢٥م تحديدًا، التقى الرئيس الأميركي دونالد ترامب نظيره المصري عبد الفتاح السيسي على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك. وهنأه على «العمل الرائع في محاربة الإرهاب». وقال ترامب «أعلم أنك تعمل بجد على ذلك. إنه ليس بالأمر السهل. وأنت في الطليعة. لكنك قمت بعمل رائع، أُريد فقط أن أهنئكم وأقدم لكم جزيل الشكر». وفي المقابل أشاد السيسي بما سماه الدعم الكبير الذي تقدمه الإدارة الأميركية لحكومته ولا سيما على الصعيد الأمني.

وفي هذا العام، وفي ٢٠١٩/٠٩/٢٤م، كذلك التقى الرئيس الأميركي دونالد ترامب نظيره المصري عبد الفتاح السيسي على هامش أعمال الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك وعلَّق على المظاهرات التي اندلعت في مصر يوم الجمعة في ٢٠١٩/٠٩/٢٠م، تطالب برحيل السيسي عن السلطة وتنذر بتجدد ثورة ٢٠١١م. قائلًا إن لدى مصر قائدًا رائعًا يحظى بالاحترام. وتجاهل الرئيس الأميركي المخاوف بشأن الاحتجاجات ضد نظام السيسي، قائلًا إن «الجميع لديهم مظاهرات». ومن جهته قال الرئيس المصري إن الإسلام السياسي هو سبب الفوضى في المنطقة. وأضاف السيسي أن «الرأي العام في مصر لم يقبل بوجود جماعات الإسلام السياسي في الحكم، وستظل المنطقة في حالة من عدم الاستقرار طالما يسعون إلى السلطة».

الوعي: هذه هي أميركا، مع ترامب أو مع سواه، زعيمة العالم الحر كما تدعي، تدعم حكام المسلمين السياسيين السفاحين أمثال السيسي وأسد، وتغطي على كل جرائمهم، ولا تعبأ بحقوق الإنسان طالما أنه مسلم، ولا بحريات الشعوب المسلمة في تقرير مصيرها، وتقف ضد إرادتها في التغيير، وهي التي تدعي الديمقراطية وحق الشعوب في اختيار حكامها... فهي تسكت عن التعديلات الدستورية التي أحدثها السيسي ليبقى في الحكم حتى ٢٠٣٤م، ومع هذا يقول ترامب عن السيسي إنه «رئيس عظيم»... وتسكت عن حملات القمع والبطش وسحق كل معارضيه، وفتح المعتقلات والسجون وتحويل جيل ثورة ٢٠١١م إلى جيل سجون ومعتقلات، ومع هذا يقول ترامب عن السيسي في اجتماع الدول السبع الكبار الذي عقد في فرنسا. إنه «ديكتاتوره المفضل»... وتطول قائمة الإعجاب والتغزل بينهما، وتطول معها مآسي المسلمين. إن السيسي ليس إلا حجر شطرنج أميركي في منطقة تعاد صياغتها.

هذا هو الغرب، وهذه هي حضارته، وهؤلاء هم حكامه، ولا يظنَّ ظانٌّ أن ترامب وأوباما وبوش... مختلفون، فبئس الغرب وحضارته وحكامه... إنها حضارة يجب أن تزول، والشعوب الغربية مقصرة في ذلك. والعالم ينتظر اليوم قيامة حضارة الإسلام التي على المسلمين واجب إقامة دولتها، ونشر سيادتها لإنقاذه، والله هو المستعان... هذا هو صعيد الصراع العالمي اليوم: صراع بين حضارة الغرب التي تقاوم حتى لا تزول، وحضارة الإسلام التي تتقدم بالرغم من كل محاولات منعها لتسود، وإلى غدٍ ناظرُه قريب، بمشيئة الله.